بعض من انتعاشة الروح!

دراسات في تحقيق التحقيق
والتشغيل الحضاري للتراث

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: بعض من انتعاشة الروح! دراسات في تحقيق التحقيق والتشغيل الحضاري للتراث
التأليف: أ. د/ خالد فهمي
موضوع الكتاب: دراسات أكاديمية
عدد الصفحات: 200 صفحة
عدد الملازم: 12.5 ملازم
مقاس الكتاب: 17x24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 30398 / 2024
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 8796 – 15 – 5

محفوظة جميع حقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

بعض من انتعاشة الروح!

دراسات في تحقيق التحقيق
والتشغيل الحضاري للتراث

تأليف

أ. د/ خالد فهمي

دار البشير للثقافة والعلوم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، [سورة الفاتحة ١/ ١].

مفتاح كل خير وتمام كل نعمة

الإهداء

إليها!

فقد كانت في يوم ما سببًا في انتعاشة الروح حفيَّة بهذه الانتعاشة

خالد فهمي

المقدمة

يـا كريـم! اللهـم يـا ذا الرحمـة الواسـعة، يـا مُطَّلِعًـا عـلى السرائـر والضمائـر والهواجـس والخواطـر، لايعـزب عنـك شيء، أسـألك فيضـة مـن فيضـان فضلـك، وقبضـة مـن نـور سـلطانك، وأُنْسًـا وفَرَجًـا مـن بحـر كَرَمِـكَ! أنـت بيـدك الأمـر كلـه، ومقاليـد كل شيء، فهَـبْ لنـا مـا تقـرُّ بـه أعيننـا، وتغنينـا عـن سـؤال غـيرك! فإنـك واسـع الكـرم، كثـير الجـود، حسـن الشـيم، عـلى بابـك واقفـون، ولجُـودك الواسـع المعـروف منتظـرون، يـا كريـم يـا رحيـم.

اللهم آمين! وبعد...

«•»

هـذا كتـاب جديـد، جـاء ثمـرة اشـتغال امتـد لعامـين هما ١٤٤٥-١٤٤٦هـ = ٢٠٢٣-٢٠٢٤م. وجـاء عنوانـه مقصـودًا مـن جانبـي، ومسـبوقًا مـن بعـض الوجوه فيـما سـلف منـي في بعـض مـا نُـشر مـن نحـو عِقْـد عندمـا نـشرتُ فصـلًا في كتـابي: «أنشـودة المتـن والهامـش! نحـو إحيـاء جديـد لعلـم تحقيـق النصـوص التراثيـة»، الـذي صـدرت طبعتـه الأولى في القاهـرة «١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م» بعنـوان «انتعاشـة الـروح! مفاتيـح التعامـل مـع الـتراث العـربي الإسـلامي: محاولـة تأصيليـة».

والحقيقـة أن مطلـب صناعـة الانتعـاش في الأمـة مـن طريقـة صناعـة الإنعـاش مطلـب أصيـل مدعـوم بـما ورد في نصـوص المرجعيـة العليـا في ركنهـا الشـارح المفصـل وهـو السُّـنَّة النبويـة؛ فقـد جـاء في الحديـث الصحيـح الـذي أخرجـه البخـاري في صحيحـه في كتـاب الاعتصـام بالكتـاب والسـنة [فتـح البـاري ٣/

٢٤٥، حديث ٧٢٧١] عن أبي برزة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَّ نَعَشَكُمْ بالإِسْلامِ وبِمُحَمَّدٍ ﷺ».

وما التراث العربي الإسلامي إلا حاشية موسَّعة علمية على هذا الإسلام العظيم.

وهذا الحديث نص في الدعوة إلى تعزيز مسارات تنشيط الأمة، والدلالة على مسارات جديدة للتشغيل الحضاري من بوابات المراجعات وتحقيق التحقيق والفحص الإداري للعمل التراثي.

وهذا الاشتغال بالدرس التراثي من جملة الاشتغال بإنعاش الحق الذي نَهَضَتْ به حركة العلم في الأمة في زمان سيادة الشريعة والدوران حول الكتاب العزيز بوصفه كان الحاكم والضابط لحركة العقل العربي المسلم على امتداد اثني عشر قرنًا متصلة؛ فقد جاء في حديث النبي ﷺ فيما أخرجه المنذري في كتابه [أربعون حديثًا في اصطناع المعروف، للمنذري «ت ٢٥٦هـ»، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م] من حديث أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْعَشَ حَقًّا بِلِسَانِهِ جَرَى لَهُ أَجْرُهُ حَتَّى يَأْتِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوَفِّيهِ ثَوَابَهُ» «حديث ٣٩٨»، وهو ما يعني أن الاشتغال بالدرس التراثي يتجاوز إلى إرادة تحقيق حِزَمٍ من الوظائف النفسية والحضارية للأمة.

«١»

وهذا الكتاب هو سادس كتاب لي في هذا السياق الذي يهدف إلى جملة من الغايات والمقاصد تتجاوز الشأن التعليمي «البيداجوجي» -على الرغم من أهميته البالغة- إلى غايات أخرى حضارية ونفسية وتجديدية تطمح إلى تعزيز سياسات دعم الهوية، والاستقرار والتوازن النفسي والمجتمعي، وتعزيز خطط التنمية وخطط حماية الأمن الحضاري من بوابات الأمن الثقافي، والأمن اللغوي؛ بوصف كل هذه الأُطُر الحِمَائِيَّة تجلياتٍ داعمةً للأمن القومي العربي.

«٢»

ويتضمن الكتاب عشرة فصول توزعت على عدد من المسارات الكلِّية التي يمكن الكشف عنها فيما يلي:

أولًا- مسار تعزيز بحوث ما اقترحتُه منذ مدة تحت اسم «التشغيل الحضاري للتراث»، وقد جاء الفصلان الأول والثاني ليعزِّزا هذا المسار ويدعماه.

ثانيًا- مسار تحقيق التحقيق، وهو المسار الذي يُطلق عليه جمهرة المشتغلين بالتحقيق اسم «نقد التحقيق التراثي»، وهو حقل مهم جِدًّا يدعم صناعة الوعي بالنشر النقدي ويرشد مسيرته، وجاءت الفصول من الثالث إلى الخامس لتعزِّز هذا المسار وتدعمه.

ثالثًا- مسار الدعم للثقافة التراثية، وثقافة المخطوط، وثقافة التحقيق، وجاءت الفصول من السادس إلى العاشر لتعزز هذا المسار وتدعمه في شيء من التنوع.

إنني من المؤمنين بالطاقة الحيوية التي تسكن بِنْيَة التراث بمعناه الضيق المتمثل في النصوص المتنوعة التي خلَّفها لنا عقلُ الجد العربي المسلم، مثلما أنني مؤمن جِدًّا بالطاقة الحيوية التي تسكن بنية التراث بمعناه المتسع المتمثل في النُّظُم والمؤسسات التي أبدعها العقل العربي المسلم على امتداد احتكامه للشريعة والمرجعية العليا للإسلام، وتجلَّت فيما خلَّفه لنا علماء الأمة من نصوص بالغة الثراء وبالغة التنوع.

خالد فهمي

١٤٤٦هـ = ٢٠٢٤م

***

الفصل الأول

مقومات التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط

مقومات التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط

٠ / مدخل: أمة واصلة:

إن تأمُّل النموذج المعرفي الذي تأسست عليه أمة الكتاب، أو الأمة العربية الإسلامية -كما وصفها آدم جاسك في مُفْتَتَح كتابه «تقاليد المخطوط العربي»- يكشف عن نهوضها على مبدأ يرعى تقدير أمم الأرض، وثقافاتها وشعوبها ورموزها الفكرية.

وهو الأمر الذي نراه في حزمة مكتنزة من الدلائل يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا- تقدير المنجز الحضاري والثقافي في الأمم السابقة، والحديث عنه برُوح متعاطفة إيجابية.

ثانيًا- تجاوز التقدير للمنجز الحضاري إلى الأمر برعايته وعنايته للدرجة التي وصلت بهذا النموذج المعرفي الإسلامي إلى إدراج مبدأ التواصل الحضاري بوصفه ترجمةً للتعامل مع ثقافات الشعوب الأخرى، وتجاربها وعطاءاتها الحضارية، وهو ما يفرض فحص الأسس المعرفية المؤسسة والداعمة لهذا الذي ندعيه، وهي كما يلي:

١ / ١ - نصوص المرجعية العليا الحاكمة في الكتاب العزيز وتفصيله في السنة الشريفة الصحيحة.

١/ ٢- وعي الفلاسفة العرب المسلمين ورعايتهم لمبدأ التواصل الحضاري. يقرِّر ابن رشد «٥٩٥هـ = ١١٩٨م» في كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» «أن الله أمرنا أن ننظر في كلام القدماء؛ أي ثقافات الشعوب الأخرى، فإن وجدناه مُوَافِقًا للحق الذي عندنا أخذناه وأذعناه في الناس وشكرنا أهله عليه، وإن وجدناه مخالفًا للحق الذي عندنا أخذناه ودللنا على ما فيه، وعذرنا أهله عليه». وهذا نص بالغ الوضوح على ما نحن بصدده.

١/ ٣- نهوض الحضارة العربية بحفظ تراث الأمم السابقة، وهو ما تجلَّى في حفظ تراث الإغريق بترجمته والتعليق عليه، الأمر الذي كان مادة اعتمدت أوربا عليها عند تأسيس نهضتها الحديثة.

١/ ٤- نهوض الحضارة العربية بالإضافة والتقويم والشروح إلى تراث الأمم السابقة؛ بوصف ذلك تطبيقًا عمليًّا واضحًا للتفاعل مع ثقافات الشعوب واللغات المختلفة.

١/ ٥- ظهور عدم التمييز في هذه الحضارة العربية نحو تراث الأمم الأخرى، وهو ما تجلَّى في حفظ تراثهم، والعناية به، ونَسْخه، وزخرفته، وتجليده، وصيانته، ومراجعة مخطوطات الكتب المقدسة السابقة، بما فيها الأناجيل، وغيرها، والخدمات التي وُجِّهَتْ إليها خير دليل على ما نقرره.

١/ ٦- تطور حضور مبدأ التواصل الحضاري في التشريعات والممارسات والتطبيقات التراثية الموجهة لجمع المخطوطات المختلفة، وحفظها، وصيانتها، وفهرستها، وإتاحتها، ودراستها، ونشرها؛ إلخ.

٣/ ٠ العناصر العريضة لخدمة «مقومات التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط».

٣/ ٠ صياغة رؤية ورسالة لفعاليات هذا العام.

٣/ ١- دعوة المُسْتَكْتَبِين لتغطية المحاور التالية:

٣/ ١.١ خدمة مفهوم التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط وتحريره.

٣/ ١.٢- خدمة التدليل على ظهور التواصل الحضاري بالدعوة إلى خدمة مسألة تصنيف المخطوطات المعززة لظهور مبدأ التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط:

أ- مخطوطات اللغات الأخرى.

ب- مخطوطات الأديان والمِلَل الأخرى.

ج- مخطوطات الآداب الأجنبية.

د- مخطوطات الفلسفات الوافدة؛ إلخ.

٣/ ١.٣- خدمة التدليل على ظهور التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط بتغطية فحص ما يلي:

أ-ما نقله تراثنا المخطوط من ثقافات الشعوب الأخرى على مستوى أداوت الكتابة.

ب- ما نقله تراثنا المخطوط من ثقافات الشعوب الأخرى على مستوى تقاليد صناعة المخطوط:

- النساخة.

- فنون المخطوط؛ إلخ.

٣/ ١.٤- خدمة التدليل على ظهور التواصل بالفحص الموضوعي أو الفكري لموضوعات النصوص الدينية والفكرية غير الإسلامية التي وصلت إلينا من تراثنا المخطوط.

مع خالص الشكر على الدعوة الكريمة للمشاركة في التثاقف حول الإعداد لليوم العربي للمخطوط ٢٠٢٤م.

***

الفصل الثاني

استدعاء النور!

قراءة في التشغيل الحضاري لشمائل النبي ﷺ

استدعاء النور!

قراءة في التشغيل الحضاري لشمائل النبي ﷺ

٠ / مدخل: هدير النور:

سيظل ميلاد المصطفى ﷺ النقطة الفاصلة في التاريخ الإنساني كله بين زمانين؛ زمان الظُّلْمَة وزمان النور.

ولا حَظَّ في هذا الذي نقرِّره للمجاز، فلقد جاء في الذِّكْر الحكيم أنه النور؛ يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [سورة المائدة ٥/ ١٥]، وقد قرَّر السيوطي في [الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، «ص٢٥٦»]: «قال جماعة: النور هنا محمد ﷺ».

ا / شمائل النبي ﷺ: مفهومها وأدبياتها:

١/ ١ - المفهوم:

عرَّف علماء الحديث الشمائل بأنها «خُلُقه وأحواله المعيشية»، وهي «أوصافه ﷺ الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة» كما قرر د. عبد الرحمن الخميسي في [معجم علوم الحديث، ص١٣٢، فقرة ٣٥٧]، وكما قال مجمع اللغة العربية بالقاهرة في [معجم مصطلح الحديث النبوي، ص٤٥، فقرة ٥٩].

وهو ما يعني أنها موزعة على ثلاث مجموعات هي:

أولًا- صفات النبي ﷺ في بدنه وأعضائه.

ثانيًا- صفات النبي ﷺ في نفسه وخُلُقه.

ثالثًا-طريقة النبي ﷺ في حياته اليومية.

١/ ٢- مصادر الشمائل وأدبياتها:

يتوقف التشغيل الحضاري لمجموع شمائله ﷺ في الأمة على الوعي -أولًا- بمصادرها وتوثيقها، وقد جاءت شمائله ﷺ في المصادر التالية:

أولًا- الكتاب العزيز، وهو أوثق مصدر تحدث عنه ﷺ.

ثانيًا- كتب السُّنَّة الصِّحَاح التي أوردت أحاديث كثيرة عن شمائله ﷺ.

ثالثًا- كتب السنة المستقلة التي استقلَّت بجمع أحاديث الشمائل وغطَّت المساحات التالية:

أ-كتب الشمائل النبوية.

ب-كتب حلية النبي وصفته ﷺ.

ج-كتب خُلُقه ﷺ.

د-كتب خصائصه ﷺ.

هـ- كتب فضائله، ومناقبه، ودلائل نبوته ﷺ.

ز- الكتب المفردة في بعض محاسنه ﷺ، من مثل ما أُفرد حول:

- شجاعة الرسول ﷺ، لمصطفى أبي سيف.

- صدق الرسول ﷺ، لأبي هذيل العلاف.

- شرف الرسول ﷺ، لابن الجوزي.

- فروسيته ﷺ، لابن القيم، إلى غير ذلك.

رابعًا- كتب السيرة الموسَّعة على اختلاف مناهجها وحجومها.

وقد وصلت إلينا قائمة ممتازة من كتب الشمائل؛ للترمذي، «ت ٢٧٩هـ»، والبغوي «ت ٥١٦هـ»، والسيوطي «ت ٩١١هـ»، والقاري «ت ١٠١٤هـ»، والمناوي «ت ١٠٣١هـ»، والشرنوبي «ت ١٣٤٨هـ».

٢/ التشغيل الحضاري لشمائل النبي ﷺ في الأمة:

إن الواقع المأزوم -خُلُقِيًّا وحضاريًّا- يفرض علينا استدعاء شمائل النبي ﷺ؛ لتكون منهجًا وخطة عمل تنفيذية للتخلص من هذا الواقع المأزوم. وفي هذا السياق نتوقف أمام جملة من الوظائف الممكن استلهامها وتطبيقها في الأمة، وهي كما يلي:

أولًا- الوظيفة الإيمانية:

إن تأسيس الإيمان بالله لا يكون إلا من طريق الإيمان بنبوة محمد ﷺ، وتحكيم ما ورد عنه، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران ٣/ ١٦٤].

ثانيًا- الوظيفة التَّعَبُّدِيَّة:

ذلك أن الله أمرنا أن نتابعه ونَتَّبِعه فيما يقوم به، وقد صح عنه ضرورة متابعته في التعبُّد بوصف تلك المتابعة ركنًا في صحة العبادة وتمامها.

ثالثًا- الوظيفة الخُلُقِيَّة «التَّزْكِيَة»:

لقد أخبر القرآن الكريم عن النبي ﷺ قائلًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم ٦٨/ ٤]، والتزكية مقصد أعلى من مقاصد الإسلام، وهي الترجمة العملية للتوحيد الإيجابي والزاكية في الوجود الإنساني، وقد أخبر عن نفسه -كما جاء في حديث أبي هريرة، كما أخرج صاحب الشمائل [حديث ٦٧٦، ص٦١]- «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

رابعًا- الوظيفة التربوية:

لقد عكس تحليل أحاديث الشمائل حقيقةَ كون النبي ﷺ أعظم من دَلَّ على ما به تكون تربية الأجيال، وتعليمهم ما يقيم الحضارة، ويضمن النجاة يوم القيامة، ومن ذلك قوله ﷺ:

أ- «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» [حديث ٩٣٦، ص٢١٢].

ب- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ... يَحْلِبُ شَاتَهُ وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ» [حديث ٩٣٥، ص٢١٢].

خامسًا- الوظيفة الاجتماعية:

إن تأمُّل أحاديث الشمائل يكشف عن رعاية وعناية بالنهوض بالمجتمع من خلال ما يلي:

أ- تنظيم المجتمع.

ب- الخدمة الاجتماعية.

ج- رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة.

د- خُلُق الرعاية لمناطق الضعف عمومًا، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

- «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا» [ص٢٥٤، حديث ٦١٠٨].

- «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ» [ص٢٥٧، رقم ١١٤].

سادسًا- الوظيفة الحضارية:

تتحرك أحاديث الشمائل في الأمة حضاريًّا، فتُرسي فيها ما يلي:

أ-تنظيم متاع البيت وأثاثه.

ب-ضبط أمور الأطعمة والأغذية.

ج-الطب والعلاج.

د-العطور والزينة.

هـ-الثياب والملابس.

و-الفنون والجماليات.

ز- آداب التواصل، وغيرها.

والحقيقة أن العلماء على امتداد تاريخ الأمة رأوا في شمائله ﷺ مصدرًا ثريًّا للحضارة، من حيث فحص تنوع متاع بيته، وتنوع طعامه وشرابه، وتنوع أشكال عنايته بنظافته الخاصة وتطبيبه، وعلاجاته؛ إلخ.

سابعًا- الوظيفة السياسية:

لقد كان رسول الله ﷺ رئيس الأمة والدولة، ودخل في مفاوضات ومعارك بدا فيها سياسيًّا حكيمًا ونبيلًا، ما يحتاج معه إلى دراسة فنون السياسة والتفاوض كما وردت في أحاديث شمائله ﷺ.

ثامنًا- الوظيفة البيانية «اللغوية»:

جاء في شمائله ﷺ أنه «أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»، وقد تنبهت الأمة فأَوْلَتْ فِقْهَه العنايةَ الباذخة، ما كان له عائده على تطوير الدرس اللغوي للعربية.

لقد كان المصطفى ﷺ نورًا أضاء للأمة جنبات حياتها، ولم يزل -وسيظل- هو نبع النور على امتداد الزمان، والتَّهَدِّي بهذه الشمائل مانع من أي انحراف أو شطط عند الاحتفال بمولده الأنور.

***

الفصل الثالث

إمبراطورية المصطلح ونصوص الفتاوى!

أهمية معجمات المصطلحيات في تحقيق نصوص الفتاوى في التراث العربي

الحدود والوظائف

إمبراطورية المصطلح ونصوص الفتاوى!

أهمية معجمات المصطلحيات في تحقيق نصوص الفتاوى في التراث العربي

الحدود والوظائف

التمهيد

المصطلحيات ونصوص الفتاوى في التراث العربي

مداخل تعريفية

«٠»

نظرًا لطبيعة البحث العملية والبيداجوجية «التعليمية والتربوية» في الوقت نفسه، فقد يكون من المهم البدء بهذا التمهيد، الذي يهدف إلى تقديم تعريفات إجرائية للمصطلحات المركزية الدوارة فيه، وهي كما يلي:

١- مصطلح «الفتوى / الفتاوى».

٢- مصطلح «المصطلحيات».

أولًا- مفهوم «الفتوى / الفتاوى».

الفتوى هي إجابة الشرع عن سؤال ضاغط في حركة حياة المسلم في حقبة زمانية متعينة، وبيئة متعينة، يقول [معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمد عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م] «١/ ٣٣ مدخل: الفتوى»:

«الفتوى والفتيا: الجواب عما يُسأل عنه من المسائل، واستفتاه طلب منه الفتوى «أي: الجواب»، وسأله رأيه في مسألة فأفتاه: فأجابه، قال الله تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [سورة الصافات ٣٧/ ١٤٩]. وقوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة النساء ٤/ ١٢٧]».

ومن ثم يتضح أن الفتوى نص شرعي يتأسس على اجتماع ما يلي فيه:

أ- نص كلام السائل، ويسمَّى سؤال المستفتي.

ب- نص كلام المجيب، ويسمى فتوى المفتي، وسُميت هذه النصوص بالفتاوى على جهة الغلبة؛ إذ إن الجواب هو مَحْطُّ النظر، وهو المطلوب المنشود المتشوَّف إليه.

ويتضح كذلك أن عمل المفتي هو استمرار للقيام بوظيفة البلاغ عن الله؛ إذ المفتي وارث وظيفة النبي ﷺ أول المُفْتِين في تاريخ الإسلام.

ثانيًا- مفهوم «المصطلحيات»:

المصطلحيات جمع: مصطلحية. والمصطلحية هي مجموع مصطلحات حقل معرفي بعينه، فمجموع مصطلحات علم الفقه مثلًا تُسمى: مصطلحية الفقه، وكذلك مجموع مصطلحات علم أصول الفقه تُسمى: مصطلحية الأصول، وكذلك مجموعة مصطلحات الأوبئة أو الأمراض تُسمى: مصطلحية الأوبئة والأمراض.

ومن هنا يستعمل هذا البحث «مصطلحيات» بمعنى مجموعات مصطلحات العلوم التي يلزم استصحابها عند تحقيق نصوص الفتاوى، وقد أطلق البحث هذا المصطلح واستعمله هنا بصيغة الجمع؛ نظرًا لأن نصوص الفتاوى المكونة من كلام السائلين «المستفتين»، وكلام المجيبين «المفتين» تتضمن بالضرورة مجموعات المصطلحات التالية:

أ- مصطلحات علوم الحكمة من طب وأمراض وأوبئة وفلك ومياه وتربة وغيرها «المصطلحيات الحكمية».

ب- مصطلحات علوم الاجتماع والطبقات والاقتصاد والأموال والاقتصاد والسياسة «المصطلحيات العربية أو التاريخية أو الاجتماعية».

ج- مصطلحات علوم الشريعة، من علوم القرآن والحديث النبوي وأصول الفقه والفقه والوقف وغيرها «المصطلحيات الشرعية».

٠/ مدخل: الفتاوى وفاعلية الفقه الإسلامي:

يفتتح مرجع أكسفورد في الفقه الإسلامي [مرجع أكسفورد في الفقه الإسلامي وأصوله وتاريخه، تحرير أنور إيمان، وروومي أحمد، ترجمة: أسامة شفيع السيد وآخرين، مركز نهوض، الكويت، ٢٠٢٣م] «١/ ٥» بعتبة نصية منقولة عن تكوين العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري «ت ٢٠١٠م» تقول: [تكوين العقل العربي؛ محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٩م، ص٩٦] «إن الحضارة الإسلامية حضارة فقه، والفقه فيها أعدل الأشياء قسمةً بين الناس».

وهذه العبارة بتضفيرها بين الحضارة وهموم الناس -من جانب-، واستجابة الفقه الإسلامي -من جانب آخر- برهان متجدد على فاعلية الفقه الإسلامي الذي يستجيب -في مرونة وإنسانية حقيقية- لمطالب الناس وهمومهم من خلال ما يمدهم به دائمًا من الفتاوى التي تَرُومُ تحقيق الضبط الاجتماعي، والتراحم والتيسير على عموم الناس في مسيرة الحياة التي لا تخلو من القسوة في كثير من الأحيان.

والحقيقة إن «الفتاوى» ليست فقط وجهًا من وجوه فاعلية الفقه الإسلامي الذي يستجيب من خلالها لمستجدات الحياة والواقع؛ ولكنها -أيضًا- وجه من وجوه فاعلية «**الأمة**، بوصف هذه الفتاوى **صناعة** حضارية لم تغلق أبوابها

في أي وقت من الأوقات، يقول عبد الله بن بيّه [صناعة الفتوى وفقه الأقليات، عبد الله بن بيه، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ١٤٣٩هـ = ٢٠٠٨م، ص٩]:

«الفتوى صناعة؛ لأن الصناعة عبارة عن تركيب وعمل يحتاج إلى دراية وتعمُّل، فهي ليست فعلًا ساذجًا ولا شكلًا بسيطًا، بل هي نوع القضايا المركَّبة التي تقترن بمقدمات كبرى وصغرى للوصول إلى نتيجة هي: الفتوى».

والفتوى -بوصفها منتجًا- يلزم لإنتاجها نوعٌ من الوعي بجملة العناصر، منها الوعي بالأجهزة الاصطلاحية المرتبطة بها والمتداخلة معها.

١/ خريطة الأجهزة الاصطلاحية المتعالقة بتراث الفتاوى عند المسلمين: خطاب الحدود والعلاقات:

تنفتح الفتاوى -بوصفها منتجًا تتداخل في صناعته عناصر كثيرة جِدًّا- على أجهزة اصطلاحية شديدة التَّعَالُق، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الفتاوى من دون الوعي بهذه الأجهزة، واستصحاب معجماتها، والإفادة مما يمكن أن تقدمه من خدمات لمعالجة هذه النصوص.

١/ ١- خريطة الأجهزة الاصطلاحية المتعالقة بتراث الفتاوى: خطاب الحدود الكلية:

«١» الفتوى بما هي نص من النصوص التي يأخذ فيها الجواب برقبة السؤال، أو ينهض فيها «كلام المفتي» على تحصيل «كلام المستفتي»، تتأسس لغتها على تعانُق نمطين من مستويات اللغة:

أولًا- لغة المستفتي، التي هي انعكاس لزمانٍ ومكان وبيئة وأوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية، ويطلُّ توظيف مستوى الاستعمال usage label -بما هو أحد أهم مكونات البنية الصغرى في تشكيل النصوص القاموسية - برأسه ليقرر أنه لا يمكن تغييبه عن فهم سؤالات المستفتين بحال من الأحوال.

ثانيًا- لغة المفتي، التي هي انعكاس لنمط من التشغيل الفقهي الذي يلوذ بالكتاب والسُّنَّة وبقية الأصول الكلية للشريعة -من جانب-، ويلوذ بتشغيل متغيرات الزمان والأحوال والأماكن وغيرها -من جانب آخر- من أجل إنتاج الفتوى.

ومن هنا تبدو خريطة الأجهزة الاصطلاحية المتعالقة مع الفتوى محدودة بثلاثة حدود واضحة؛ هي:

أ- الأجهزة الاصطلاحية الشرعية.

ب- الأجهزة الاصطلاحية العربية.

ج- الأجهزة الاصطلاحية الحكمية.

والحقيقة أن هذه الحدود الثلاثة يمكن إعادة توصيفها بتوزيعها على محورين أو حَدَّيْنِ ظاهرين هما:

١/ ١.١ خريطة الأجهزة الاصطلاحية الإنتاجية / العضوية:

والمقصود بهذين القيدين -الإنتاجية والعضوية- هو كون هذه الأجهزة الاصطلاحية حواملَ مفهومات لمصطلحات حقول لا يُتصور إنتاج الفتاوى -بوصفها نصوصًا شرعية- من دونها بحال من الأحوال، وحدود هذه الخريطة التفصيلية هي:

أولًا- مصطلحية علوم القرآن الكريم.

ثانيًا- مصطلحية الحديث النبوي الشريف، بوصفهما المصدرين والمرجعين الأعليين المتفق عليهما في إنتاج الفتاوى كما هو معروف.

ثالثًا- مصطلحية أصول اللغة وأصول الدين، بتنوعات مدارسها المختلفة.

رابعًا- مصطلحية الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة.

خامسًا- مصطلحية الخُلُق الإسلامية، الإطار الجامع الذي يهدف الفقه إلى ترسيخه في المجال الإسلامي العام.

سادسًا- مصطلحية المقاصد، بوصفها إطارًا حاكمًا لحركة الفتوى وجدل المستفتي والمفتي، أو جدلية السؤال والجواب الدائر بينهما.

سابعًا- مصطلحية السياسة الشرعية، بوصف نصوص الفتاوى إنتاجَ مؤسسات الفتوى في الحكومات المختلفة.

١/ ٢.١ خريطة الأجهزة الاصطلاحية الإنتاجية / الموجهة:

والمقصود بهذين القيدين -الإنتاجية والموجهة- هو كون هذه الأجهزة الاصطلاحية حوامل لمفهومات مصطلحات حقول توجِّه مسارات الفتاوى، وتؤثِّر تأثيرًا أساسيًّا في إنتاجها بوصفها نصوصًا تنتج استجابةً لضغوط الاجتماع الإنساني في نقطة متعيِّنة وفي بقعة مكانية متعينة أيضًا، وفي سياق فردي / وجمعي الموجهة هي:

أولًا - مصطلحية التاريخ الإسلامي بالمفهوم الموسع، وأقصد به ذلك المفهوم الذي يستند إلى الإحاطة بالمصادر الموضوعية التالية:

أ- حقل الاجتماع والعمران، والحضارة، والتاريخ.

ب- حقل السياسة، والإدارة، والعلاقات الدولية.

ج- حقل الاقتصاد، والأموال والخراج.

د- حقل الجغرافيا، والملاحة البحرية.

هـ- حقل التعليم والتربية.

و- حقل العلوم العسكرية، والمناصب الحربية.

ز- حقل الفنون والملابس والزخرفة.

ثانيًا- المصطلحيات الحكمية:

والمقصود بالقيد: الحكمية -هنا- هو ما يتعلق بالعلوم التجريبية المادية ونصوص الفتاوى بحكم ماهيتها وطبيعتها التي تنهض -في قطاع كبير منها- على رعاية التفاعل مع أحداث بيئة صلبة تنتمي إلى ميادين هذه الحقول، وهو الأمر الذي يتضح معه ظهور مصطلحات متنوعة تنتمي إلى الحقول التالية:

أ- حقل الطب، والأوبئة والطواعين، والأمراض، والعدوى.

ب- حقل الفلك والأنواء والرياح، والعواصف، والأمطار، والسيول.

ج- حقل الجيولوجيا أو علوم الأرض والتربة والزلزال، والبراكين، وتصدعات الأرض، وانشقاقاتها، وسقوطها، وانهياراتها.

د- حقل الفِلَاحَة، وما تتعرض له المزروعات من جوائح.

هـ- حقل المياه والفياضانات والجفاف.

ز- حقل الأمكنة والحيطان، والمباني، والسدود، والجسور.

«٢»

والحقيقة أن هذا التمدد لأنواع المصطلحيات المختلفة في **نصوص الفتاوى** في التراث العربي يجعل منها وثائق بالغة القيمة لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للشعوب العربية والإسلامية، بعيدًا عن أجواء الإخفاء أو التزوير أو العرض الأحادي للأحداث من جانب بعض المؤرخين لأي أغراض تخدم الحكام أو الأيديولوجيات الخاصة؛ لأنها -بهدوء شديد- تعكس نبض الجماهير المركَّز في نصوص المستفتين أو نصوص المسائل من جسم نصوص الفتاوى، ومن هنا فإن نصوص الفتاوى -بما هي وثائق تاريخية- لم تعترضها أمراض التدخل المعروفة والمتداولة في الكتابة التاريخية على امتداد العصور.

وهـذه الخصوصيـة يلزمهـا نـوع مـن التنبـه إلى خصوصيـة رعايـة الأجهـزة الاصطلاحيـة التـي تسـكن بنيـة نصوصهـا، إنْ في جـزء سـؤالات المسـتفتين، وإنْ في جـزء جوابـات المفتـين مـن نصـوص الفتـاوى، عنـد التحقيـق أو النـشر النقـدي.

إن اللغـة المختصـة أو المصطلحـات المتنوعـة تمثـل في الحقيقـة حضـورًا يمكـن وصفـه بالحضـور **الإمبراطـوري**؛ نظـرًا لتمـدُّد مسـاحات هـذا الحضـور، وتوزُّعـه كـما رأينـا عـى دوائـر العلـوم الشرعيـة الدينيـة، والعربيـة الاجتماعيـة والحكميـة / العلميـة.

وبعيـدا عـن فتنـة لغـة المجـاز يمكننـا أن نقـرر بوضـوح تـام أن الحضـور المصطلحـي في نصـوص الفتـاوى في الـتراث العـربي هـو حضـور ممتـد التُّخُـوم، مترامـي الأطـراف والحـدود في بنيـة هـذه النصـوص.

وتحيـط هـذه الإمبراطوريـة المصطلحيـة المترامـية الأطـراف بهـذه النصـوص مـن كل جانـب في بنيـة تصميـم هـذه النصـوص؛ إذ تنسرب في أوصالها بطريقـة واضحة تمامًـا. وهـذا التمـدد هـو مـا حمـل عـلى وصـف الحضـور المصطلحـي في بنيـة هـذه النصـوص بالحضـور الإمبراطـوري الـذي يتمـدَّد ليحيـط بمصطلحـات العلـوم الشرعيـة؛ لأن الفتـاوى في التأسـيس المعـرفي نصـوص شرعيـة، ويحيـط بالمصطلحات العربيـة والاجتماعيـة بوصـف هـذه النصـوص ترجمـةً وانعكاسًـا للواقـع التاريخـي، وبيئـات جغرافيـة، وثقافيـة، واجتماعيـة ولغويـة وسياسـية متعينـة مقيـدة، ويحيـط بالمصطلحـات الحكميـة بوصـف هـذه النصـوص اسـتجابة لضغـوط مشـكلات ونـوازل وحـوداث صنعتهـا ظواهـر فلكيـة وجيولوجيـة في جـزء كبـير منهـا.

١/ ٢ خريطـة الأجهـزة الاصطلاحيـة المتعالقـة في نصـوص الفتـاوى في الـتراث العـربي: خطـاب العلاقـات:

يكشـف تحليـل أدبيـات الفتـوى عـن قيـام نمـط مـن العلاقـات الْمُتَوَاشِـجَة أو المترابطـة بـين ثلاثـة الأجهـزة الاصطلاحيـة المذكـورة إجمـالًا في المطلـب السـابق.

وقد نبَّه كثير ممن عالجوا الكتابة في شروط المفتي وكيفية الفتوى إلى كثير من الأمور الكاشفة عن حضور العلاقة القوية بين حقول معرفية متداخلة مؤثرة في إنتاج الفتوى وصناعتها.

وأشهر من عالجوا هذه الشروط هم:

- أبو المعالي الجويني «ت ٤٧٨هـ = ١٣٥٠م» في كتابه «الغياثي»؛ «ص ص ٤٠٠ -٤٠٦، الفقرات ٥٧١-٥٨٨».

- وأبو عمرو بن الصلاح «ت ٦٤٣هـ = ١٢٤٥م» في كتابه «أدب الفتوى»؛ «ص ص ٤١-٦١».

- وابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ = ١٣٥٠م» في كتابه «إعلام المُوَقِّعِين»؛ «١/ ٥١».

وتتلخص العلاقات بين الحقول المعرفية المنتجة للفتوى بما يصاحبها من مصطلحياتها في دائرتين هما:

أولًا- دائرة حقول علوم الشريعة.

ثانيًا- دائرة العلوم العربية والعلوم الحكمية، يقول أبو المعالي الجويني «ص٤٠٠ فقرة ٥٧١-٥٧٥»:

«إن الصفات المعتبرة في المفتي هي:

- الاستقلال باللغة والعربية...

- ومعرفة أحكام ما يتعلق بأحكام الشريعة من آيات الكتاب والإحاطة بناسخها ومنسوخها...، فإن مرجع الشرع وقطبه «هو» الكتاب «العزيز»...

- ومعرفة السنن، فهي القاعدة الكبرى، فإن معظم أصول التكاليف مُتَلَقًّى من أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وفنون أحواله...

- ومعرفة مذهب العلماء المتقدمين الماضين في العُصُر الخالية...

- والإحاطة بطرق القياس ومراتب الأدلة، فإن المنصوصات متناهية، والوقائع المتوقعة لا نهاية لها».

وقد أدَّى نظر الجويني لهذه العلاقات المعرفية المشترطة في الإفتاء إلى تعيين دوائر العلوم والفنون التالية، يقول «ص٤٠٢»:

«إن المفتي هو المتمكن من دَرْك **أحكام الوقائع**... وهذه الصفة تستدعي ثلاثة أصناف من العلوم:

- أحدها: اللغة والعربية...

- والصنف الثاني: من العلوم الفن المترجم بالفقه...

- والصنف الثالث من العلوم: العلم المشهور بأصول الفقه».

وتعيين ثلاثة الأصناف هذه لا يعني غياب الوعي بقيمة حقل العلوم الحكمية، ولكن الحقيقة إن الإشارة إليها متضمنة اشتراط الفقه بمسالك النظر، وفهم الوقائع والتكييف لإصدار الأحكام المناسبة لها.

ويتوسع ابن الصلاح في «أدب المفتي» في عرض شروط المفتي عندما قرر أنه يلزمه -بجانب إتقان المعرفة بالعلوم الشرعية- أن يكون عالمًا بما يلزم من أنواع الفتاوى، من مثل: علوم الحساب فيما يلزم منه تصحيح المسائل الحسابية الفقهية مثلًا، ووصل بالأمر إلى أن يصرح أن المفتي المنتسب أو غير المستقل أو غير المطلق يلزمه استفتاء غيره عند قصور آلة الفتوى في نفسه «ص١٥٥»، وكذلك لا يجوز له أن يفتي فيما يتعلق بالألفاظ إلا إذا كان من أهل بلد اللافظ بها... أو منزلًا منزلتهم في الخبرة بمراداتهم من ألفاظهم وتعارفهم فيها؛ لأنه إذا لم يكن كذلك كَثُرَ خطؤه عليهم من ذلك كما شهدت به التجربة «ص٧٧».

وينص ابن قيم الجوزية على هذه النقطة؛ فيقول بعبارة واضحة [إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، بلا تاريخ] «٤/ ٢٢٨»: «ولا يجوز «للمفتي» أن يفتي... بما اعتاده هو من فهم تلك الألفاظ من دون أن يعرف عُرْفَ أهلها والمتكلمين بها، فيحملها على ما **اعتادوه** وعرفوه، وإن كان مخالفًا لحقائقها الأصلية».

وبهذا الوضوح ينكشف أمام الفاحص علاقتان حاضرتان تحكمان حركة الحقول المعرفية وأجهزتها الاصطلاحية في نصوص الفتاوى في التراث العربي، وهما العلاقتان اللتان يمكن تلخيصهما فيما يلي:

العلاقة الأولى: علاقة إنتاجية تصنيعية؛ أي حركة تشغيل تفضي إلى تصنيع الفتوى، وهي العلاقة التي تحكم حركة علوم الشريعة، من علوم القرآن والسنة والفقه واللسان في إنتاج نصوص الفتاوى.

العلاقة الثانية: علاقة إنتاجية موجهة مهيئة للسياق اللازم الذي يوجِّه إطار التصنيع والتشغيل، وكأنها بمنزلة الشروط الواجب توافرها.

وهذه العلاقة تحكم حركة علوم السياسة الشرعية، والاجتماع والعمران والتاريخ والحضارة والاقتصاد والسياسة والحكم، وعلوم الفلك والجيولوجيا والطب، والصحة والفلاحة، والملاحة وغيرها، مما يظهر من نصوص المستفتين الذين يرومون الجواب عن أحوالهم ووقائعهم التي عرضت لحياتهم عند طرحها على المفتين.

٢/ التشغيل الاصطلاحي في تحقيق نصوص الفتاوى في التراث العربي: الخطاب العملي / التطبيقي أو خطاب تعيين المصادر اللازمة:

«٢/ ٠» تقييم نص الفتاوى مدخلًا لتعيين ما يلزمه عند التحقيق من المعجمات المختصة:

ينصرف هذا المبحث بالأساس إلى محاولة إقامة الدليل على أهمية الوعي بالأجهزة الاصطلاحية وأثره في تحقيق نصوص الفتاوى في التراث العربي الإسلامي بصورة عملية تُتَّخَذ من فتاوى تقي الدين السبكي الشافعي «ت ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م» [فتاوى السبكي، تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ].

والسبكي -كما تعرِّفه كتب طبقات فقهاء الشافعية- فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، وولي القضاء في عصر دولة المماليك، وهو مصري وعمل مدة في الشام، [طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م] «١٠/ ١٣٩-٣٣٨، ترجمة ١٣٩٣».

«٢/ ١» مخطط نص الفتوى كما في فتاوى السبكي: أمثلة وتحليل:

«٢/ ١.١» مخطط نص الفتوى:

يغلب على تصميم نص الفتوى في فتاوى السبكي شكلٌ يتكون من العناصر التالية:

أولًا- عنوان الفتوى، ويتضمن:

أ- بيان تاريخ الفتوى.

ب- تعيين جغرافية الإصدار.

ثانيًا- جسم نص الفتوى:

أ- تعيين المسألة / أو السؤال «كلام طالب الفتوى، وهو المستفتي».

ب- نص الجواب، أو نص الفتوى، وينهض على ثلاثة عناصر:

- إعادة بناء كلام المستفتي، وتشقيق المسألة.

- تفصيل الجواب عنها.

«١/ ٢.١» الأمثلة: وفيما يلي نماذج تطبيقية لهذا التصميم:

المثال الأول: «١/ ٨٣٣» «مسألة من إسكندرية في سنة ثمان وثلاثين [وسبعمئة]»/ في رجل ولي النظر على أخيه محجور الحكم العزيز بتولية شرعية من جهة الحكم العزيز فسلم ماله / أجاب...».

المثال الثاني: «١/ ٣٦٧» «مسألة من دمياط سنة سبع وثلاثين وسبعمئة/ رجل وكَّل وكيلًا في أن يقبض مبلغ **جريدة**/ أجاب: القول قول الموكِّل مع يمينه».

المثال الثالث: «١/ ٤٤٤» / «مسألة من دمياط / أرض مشغولة بأشجار موز بين الأشجار أرض مكشوفة... والأرض لا يُنتفع بها لأن ظل الشجر يمنع، فهل تصح الإجارة / أجاب: ... لا تصح الإجارة...، ولا يستحق الأجرة، ولا أجرة المثل».

المثال الرابع: «١/ ٤٩٦»: «مسألة في جمادى الآخرة سنة أربعين [وسبعمئة] / وَقَفَ الملكُ الظاهرُ قريةً تُعرف ببيت فار من عمل لبنان / الجواب: أما حكم الحاكم المشار إليه فحكم صحيح».

المثال الخامس: «١/ ٤٩٩»: «مسألة من حمص في ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وسبعمئة/ وقف على صخر «اسم علم» وبعد وفاته على أولاده/ الجواب: الوقف عليه بعد وفاة صخر ينتقل إلى أولاده الباقين».

المثال السادس: «٢/ ٤٣٠»: «فتيا من حلب/ في رجل وهو... أبو طالب عبد الرحمن بن العجمي، وقف المدرسة الشرفية، واستثنى النظر لنفسه.../ الجواب: إن كان في الإخوة من يصلح لم يصح إسناده...».

المثال السابع: «٢/ ٥٩»: «فتوى من حلب في صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمئة/ رجل وقف مدرسة وشرط نظرها لثلاثة على الترتيب/ الجواب: ثمة تدافع في موضع الاستفتاء، فلنتكلم في شرح الجميع».

المثال الثامن: «٢/ ٤٨٥»: «مسألة سألها ابن الوارق قاضي سمنود/ رجل في يده عين اشتراها من أربع سنين بشاهدين، فادَّعت زوجة البائع غير ذلك، وأقامت بيِّنة شاهدًا واحدًا/ أجاب: قد وقع في المسألة إلباس، فلا بد من نقل كلام الأصحاب».

المثال التاسع: «٢/ ٥٢٤»: مسألة من غزة / داران متلاصقان... هدم أحدهما داره وعمرها على غير صفتها... وماء الشتاء يجتمع على جاره/ ... الجواب: يُمنع مجدِّد داره من جريان ماء داره على جاره».

المثال العاشر: «٢/ ٢٩٤»: «أسئلة من طرابلس الشام/ السؤال الأول: فيمن ذهب من العلماء المحققين إلى وجوب الإيمان بكون نبينا ﷺ مبعوثًا إلى الإنس والجن كافةً/ الجواب: أرى أن أذكر السؤال كله مستوفًى، لكن **أقطِّعه** كل قطعة منه وجوابها؛ ليحصل بذلك استيعاب كلام السائل وجوبه».

«٢/ ٣.١» تحليل الأمثلة من منظور أهمية الأجهزة الاصطلاحية:

يكشف تحليل هذه الأمثلة عند إرادة الاشتغال بتحقيقها عن ضرورة العناية بحزمة من المصطلحات وما يتنزل منزلة المصطلحات؛ سعيًا إلى خدمة النص، وتقريبه من مستعمله الضمني أو المتوقَّع الذي سيتوجَّه إليه بعد نشره نقديًّا.

وفيما يلي محاولة التهدي إلى توظيف المصطلحيات العربية التي أنتجتها حركة العلم في الحضارة العربية الإسلامية في صورة نقاط مركزة.

«٢/ ١.٣.١» معجمات مصطلحات الحقبة التاريخية وما يتصل بها:

لعل أول ما يظهر للمشتغل على هذه النصوص هو حرص صاحبها على تعيين زمانها، وهو عصر دولة المماليك في مصر والشام «٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م-١٥١٧م»، ونصوص الفتاوى محل التحليل تقع ضمن هذه الحقبة بعد قرن تقريبًا من تأسيسها. ويقود ذلك التعيين إلى ضرورة الاستعانة بمعجمات مصطلحية التاريخ الإسلامي المختصة بتحرير مفهومات مصطلحات ذلك العصر.

وتتوزع العناية بمصطلحات هذا العصر على ثلاثة أنواع؛ هي:

أولًا- معجمات المصطلحات التاريخية المُحَقَّبَة بحقبة واحدة هي حقبة العصر المماليكي، من مثل:

١- [معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، للدكتور محمد أحمد دهمان، دار الفكر، بيروت، ودمشق، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م].

ثانيًا- معجمات المصطلحات التاريخية المحقبة بحقب متعددة منها حقبة العصر المماليكي، من مثل:

٢- [مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة: الأيوبي والمملوكي والعثماني، د. إبراهيم الكيلاني؛ مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، وزارة الثقافة السورية، السنة ١٣، أكتوبر ١٩٩٢م].

٣- [المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية **والمملوكية** والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، للدكتور حسان حلاق، والدكتور عباس صباغ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م].

ثالثًا- معجمات المصطلحات التاريخية المستوعبة؛ أي التي تغطي حقب التاريخ الإسلامي الممتدة، من مثل:

أ- [معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، للدكتور مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م].

ب- [موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي الإسلامي، للدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م].

ج- [معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، للدكتور زين العابدين شمس الدين نجم، طبعة خاصة بالمؤلف، القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٦م].

د- [معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، للدكتور أنور محمد زناتي، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١١م].

هـ- [موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥م].

رابعًا- معجمات المصطلحات التاريخية المحقبة بحقب وثيقة الاتصال التاريخي بعصر المماليك، وأقصد معجمات المصطلحات التاريخية العثمانية؛ نظرًا إلى أن التاريخ العثماني هو الذي ورث أو خلَّف عصر المماليك، ومن أمثلة هذه المعجمات:

أ- [معجم الدولة العثمانية، د. حسين مجيب المصري، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٤م].

ب- [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. سهيل صابان، مراجعة عبد الرازق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، بالرياض، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م].

ج- [موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، للدكتور لطفي المعوش، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م].

وهذه المجموعات الأربعة من المجموعات الاصطلاحية التاريخية الإسلامية مهمة جِدًّا لخدمة نصوص هذه الفتاوى المؤرخة والمتعينة بزمان عصر المماليك.

ويتجاوز إعلان أهمية هذا القطاع من المصادر في تحقيق نصوص الفتاوى إلى إعلان مطلق عن الأهمية، وهو ما يقرره د. إدوارد سعيد، فيما نقلته رضوى عاشور في [لكل المقهورين أجنحة، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٩م] «ص٢٩٩» عندما تقول: إن معرفة الحقب الزمانية مهمة جِدًّا للفهم والاهتمام والدراسة المتأنية والتحليل الواعي.

٢- معجمات مصطلحات الألقاب والمهن المستعملة في عصر إنتاج نصوص هذه الفتاوى:

يأتي نص المستفتي -أو طالب الفتوى أو السائل- ليمثِّل الجزء المركزي الأول في جسوم نصوص الفتاوى في التراث العربي كما تبيَّن سَلَفًا.

وتحليل هذا الجزء يكشف عن تضمُّنه العناصر التالية:

أولًا- طبيعة السائل، وموقعه الطبقي أو الاجتماعي، ما يعني احتمال ظهور ألفاظ من نوع ألفاظ المهن والألقاب، وغيرها.

ثانيًا- طبيعة المسألة محل طلب الفتوى لها، وهي الطبيعة المنفتحة على أبواب الفقه العملي جميعًا، تلك الأبواب الموزعة على العبادات والمعاملات والجنايات، من منظور فردي يتعلق بقضية شخصية تتعلق بحياة السائل ومستقبله أو مستقبل وَرَثَتِه وعلاقاته الأسرية.

ويكشف المنظور الكمي لنصوص الفتاوى في العينة المختارة عن تفوق ظاهر للفتاوى الاجتماعية والاقتصادية بصورة أساسية، مختلطة بنمط ظاهر من الارتباط بالسياسة الشرعية وأنظمة الحكم والإدارة، وشبكة العلاقات بين قطاعات طبقية متنوعة.

ثالثًا- طبيعة عدد من المسائل التي تتجاوز الإطار الشخصي للسائل إلى الاشتباك مع الشأن العام، ولا سيما في مسائل الوقف الخاص بالوقف على **المؤسسات** والمجتمع.

وهـذه الدوائـر الثلاثـة التـي يتحـرك بهـا جـزء كلام المسـتفتي طالـب الفتـوى في نصـوص الفتـاوى تفـرض عـلى المحققـين المشـتغلين بتحقيـق نصـوص الفتـاوى ضرورة اسـتصحاب قطاعـات مـن المعجـمات المعنية بتحريـر مفهومـات المصطلحات الـدوارة في هـذه الميادين، وهـي كـما يـلي:

أولًا- معجمات الألقاب والمهن والوظائف التي تظهر في نصوص الفتاوى:

إن ظهـور ألفـاظ دالـة عـلى المهـن والوظائـف أمـر طبيعـي جِـدًّا في نصـوص كلام المسـتفتين، وهـو أمـر لـه أهميتـه في تكييـف الفتـوى فيـما بعـد، ذلـك التكييـف الـذي يلزمـه بيـان حـال المسـتفتين بوصـف ذلـك شرطًـا ضروريًّـا وجوهريًّـا في إطـار صناعـة الفتـوى.

وفي هـذا السـياق تـبرز قائمـة مهمـة جِـدًّا كان شـاغلها تحريـر مفهومـات المصطلحـات هـذه، ومنهـا:

أ- [معيـد النعـم ومبيـد النقـم، للتـاج السـبكي، «ت ٧٧١هـ»، تحقيـق محمـد علي النجـار، مكتبـة الخانجي، القاهـرة، ط٣، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م].

ب- [نقـد الطالـب لزغـل المناصـب، لابـن طولـون الصالحـي، «ت ٩٠٣هـ»، تحقيـق محمـد أحمـد دهمـان، وخالـد محمـد دهمـان، ومراجعـة نـزار أباظـة، دار الفكـر المعـاصر، بـيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م].

ج- [حدائـق الياسـمين في ذكـر قوانـين الخلفـاء، والسـلاطين، لابـن كنـان، «ت ١١٥٣هـ»، تحقيـق عبـاس صبـاغ، دار النفائـس، بـيروت، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م].

د- [الرتـب والألفاظ المصرية... منذ عهد أمـير المؤمنين عمر الفاروق، لأحمد تيمور باشـا، «ت ١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م» دار الكتاب العـربي، القاهرة، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م].

هـ- [الألقـاب والوظائـف العثمانيـة، د. مصطفـى بـركات، دار غريـب، القاهرة، ٢٠٠٠م].

و- [الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، د. سعيد مغاوري محمد، القاهرة، ٢٠٠٠م].

ز- [الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د. حسن الباشا، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م].

وربما ارتبط بهذه القائمة نوع قائمة أخرى ترتبط بالأسر الحاكمة، من مثل:

أ- [معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، زمباور، ترجمة د. زكي حسن بك، د. حسن أحمد محمود، وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م].

ب- [معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ الإسلامي، د. فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م].

ج- [معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٥م].

وهذه القائمة وما يلحق بها مهمة جِدًّا لنصوص الفتاوى التي تتضمن توجيه أسئلة تتعلق بأحد من رجالات الحكم أو الوظائف أو المهن في المجتمع المصري والشامي في عصر دولة المماليك بصورة لا تخفى.

٣- معجمات ألفاظ المؤسسات الحضارية التي ترد في نصوص الفتاوى وتتعلق بها أسئلة المستفتين.

اتضح من تحليل تصميم نصوص الفتاوى -كذلك- ظهور الحرص على تعيين ما يلي:

أ- مسرح الفتاوى، أو أماكن ورود الطلب من المستفتين، بذكر المدن، والقرى، والبلدان؛ إلخ.

ب- أماكن تطلب الفتاوى جوابًا عن متعلقات بها، من مكتبات، ومساجد، ودور، وأسبلة، وأرض زراعية، ومستشفيات، ومدارس، وغيرها مما كان ميدانًا للأوقاف.

وقد ظهرت قطاعات من المعجمات انشغلت بتعريف هذا النوع من الألفاظ أو المصطلحات، ما يلزم اعتمادها عند تحقيق نصوص الفتاوى بصورة أساسية.

ومن هذه المعجمات ما يلي:

- معجمات المدن الإسلامية، من مثل: [معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، لأمين واصف بك، القاهرة، ١٩١٦م]، و[معجم دمشق التاريخي، للدكتور قتيبة الشهابي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩].

وتتضمن أمثال هذه المعجمات تحريرًا وتعريفًا لأنواع الألفاظ الخاصة بالمدارس ومعاهد العلم والتعليم، والمساجد، والمكتبات، والخانقاوات، والفنادق، والأسبلة، والعيون، والآبار، ومجاري المياه، والدور والأراضي الزراعية، والبساتين، والحدائق، والمستشفيات والحمامات، والأسواق، والدواوين المختلفة والمُشَّيَدات المتنوعة من الحارات والقباب والأسوار والمقابر.

وهي ألفاظ دوارة في نصوص الفتاوى في التراث العربي، ولا سيما في النصوص المختارة من فتاوى التقي السبكي محل التحليل هنا.

«١/ ٢.٣.١» معجمات مصطلحات السياسة الشرعية بوصفها الإطار العام الواصف للحركة الضابطة للمناخ العام المُهَيْمِن على الحياة المنتجة لنصوص الفتاوى:

يعرف [معجم مصطلحات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، للدكتور يوسف عثمان الخزيم، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، سنة ١٤٣٦هـ] «ص ١٣٦ بدل رقم٤٢٩».

«السياسة الشرعية: العلم الذي يُعرف منه أنواع السياسات والسياسات الاجتماعية والمدنية، وأحوالها من أحوال السلاطين والأمراء وأهل الاحتساب والقضاء، والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال ومن يجري مجراهم».

ومعجمات مصطلحات السياسة الشرعية بهذا المعنى تُعَدُّ مصدرًا أصيلًا لازمًا عند تحقيق نصوص الفتاوى؛ لدوران كثير من مصطلحاتها في الجزء الأول على الأقل المتعلق بكلام المستفتين، وسياق القضية التي يطلبون جواب الفتاوى عليها من المنظور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وبهذا الاعتبار يلزم استصحاب المحقق لهذا النوع من المعجمات المختصة بتحرير مفهومات مصطلحات السياسة الشرعية، من مثل:

أ- [معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، د. سامي محمد الصلاحات، مكتبة الشروق الدولية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، نيويورك، ط١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م].

ب- [معجم مصطلحات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، د. يوسف عثمان الحزيم، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٧هـ].

ويلحق بهذين المصدرين عملان آخران مهمان جِدًّا في هذا السياق هما:

أ- [لغة السياسة في الإسلام، لبرنارد لويس، ترجمة، د. إبراهيم شتا، دار قرطبة للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م].

ب- [السياسة الشرعية: دراسة في أصول المصطلح وتطوراته التاريخية والفقهية، لعبد الغني محمد علي مستو، تقديم د. رضوان السيد، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٦هـ].

«١/ ٣.٣.١» معجمات المصطلحيات الحكمية «الأوبئة والجوائح» بوصفها المنتج لفتاوى النوازل في التراث العربي:

إن قطاعًا كبيرًا من نصوص الفتاوى في التراث العربي يتوجَّه للاشتباك مع النوازل ومستجدات الحادثات الضاغطة المربكة الهاجمة على المجتمع، وهو الأمر الذي يفرض استصحاب نوع معجمات مختصة ترعى العناية بتحرير مفهومات مصطلحات الأوبئة والجوائح والأزمات والكوارث وما هو لازم عند تحقيق نصوص فتاوى النوازل ومستجدات الحوادث الضاغطة.

وقد عرفت المعجمية العربية المختصة والمعاصرة قطاعًا نوعيًّا انشغل بتحرير مفهومات مصطلحات هذه الحقول، من مثل:

أولًا- أبواب مصطلحات الصحة والطب والأمراض والأوبئة في معجمات المصطلحات العامة في التراث العربي، من مثل:

- [مفاتيح العلوم، للخوارزمي «ت ٣٧٨هـ»، تحقيق فان فلوتن، تقديم د. محمد حسن عبد العزيز، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، رقم ١١٨، ٢٠٠٤م «ص ١٥٦-١٦٦ فصل: ذكر الأمراض والأدواء».

- [كتاب الحدود والفروق، لابن هبة الله الطبيب و«العشاب» «ت ٤٩٥هـ»، نسخة خطية بمكتبة الإسكندرية برقم ٢٠١٧م فلسفة، تصنيف رقم ٧٣٣٣، وعنوانها في المخطوطة: حدود الطب والحدود الطبية] «وفيه جزء للأدواء والأمراض ص ٢٨ ب / ٣٨ أ».

- [مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي، تحقيق: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ = ٢٠١٧م] «ص ص ٢٠٠-٢١١، فصل الأمراض].

ثانيًا- معجمات المصطلح الطبي في التراث العلمي العربي «الحدود الطبية» مثل:

- [كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لابن نوح القمري «ت ٣٩٠هـ»، تحقيق: وفاء تقي الدين، مجمع اللغة العربية، دمشق، بلا تاريخ، «ص ص ١٤-٣٧» «فصل الأمراض والعلل والأوبئة»].

- [حدود الأشياء الطبية، لأبي الفرج بن هندو «٤٢٠هـ» نسخة خطية بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، ورقمها No. ٩٩٩٩٩-٢٢١٨xt] «ص ص ١٢١-١٢٨» وعنوانه: «ذكر أنواع الأمراض».

ويتصل هذا القطاع المعجمي بقطاع آخر يعالج المصطلحات الطبية الحديثة والمعاصرة، والمصطلحات البيئة، وصولًا إلى [معجم كوفيد - ١٩، قسم المعاجم بمكتب تنسيق التعريب، إيمان كامل نصر وآخرين، إشراف عبد الفتاح الحجمري، الرباط، المملكة المغربية، مايو ٢٠٢٠م].

ثالثًا- معجمات مصطلحيات الجيولوجيا بما فيها من مصطلحات الزلازل والتربة والمياه والأنواء والرياح والعواصف والبراكين، مما هي أسباب النوازل، ومنها:

أ- [مصطلحات علم الري وعلم التربة، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م].

ب- [المصادر العربية لمصطلحات الأشكال الأرضية، د. عبد الله يوسف الغنيم، ضمن بحوث ومطالعات في التراث الجغرافي العربي، الكويت، ط١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م» «ص ص ١٢٣-١٦٢»].

ج- [معجم الجيولوجيا، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م].

د- مصطلحات عملية في الأنواء الجوية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م].

و- [معجم مصطلحات علم المواد، د. نبيل عبد السلام هارون، برنامج تعريب العلوم الهندسية، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م].

هـ- [معجم الأحجار والمعادن، مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م].

رابعًا- معجمات مصطلحات الاقتصاد الإسلامي، ذلك أن كثيرًا من نصوص الفتاوى متعلق بهذا الميدان الحيوي، ومنها:

أ- [معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، دار القلم، دمشق، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م].

ب- [المعجم الاقتصادي الإسلامي، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م].

ج- [قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م].

ويرتبط بها معجمات مصطلحات الوقت التي سوف نعالج الإشارة إليها في المطلب التالي من هذا المبحث.

إن هذه القطاعات الأربعة المتمايزة أنتجها فحصُ عنوانات نصوص الفتاوى كما جاءت عند السبكي، وأنتجها فحص جزء كلام المستفتين في هذه النصوص.

وقد بات واضحًا أنه لا يمكن الاطمئنان إلى دعوى تحقيق هذه الأجزاء من نصوص الفتاوى من دون وعي المحقِّق بهذه المعجمات / المصادر، وضرورة استصحابها عند التحقيق.

«١/ ١.٣.٤» معجمات المصطلحيات الشرعية: «علوم القرآن، والحديث، والأصول / والفقه، والوقف بصفة خاصة»:

يُعَدُّ الجزء الثالث والأخير من تصميم جسم الفتوى -وهو الجواب- محط أنظار طالبيها الذين هم السائلون، أو المستفتون، وهذا الجزء بكل وضوح نص شرعي بكل ما يعنيه هذا المصطلح؛ إذ ينهض على بيان ما يلي:

أولًا- بيان الحكم الشرعي في المسألة محل السؤال أو الاستفتاء.

ثانيًا- بيان الأدلة الشرعية **التفصيلية** المكيِّفة للحكم والمؤسسة له، وبيان معانيها، وشروحها، ومادة الاستدلال بها على جواب المسألة.

ثالثًا- دوران الجواب على حزمة من المصطلحات الشرعية الواصفة للسؤال والجواب معًا.

رابعًا- الاستناد إلى أصول المذهب المتَّبع في صناعة الفتوى وإصدار الحكم تبعًا لهذه الأصول التي تختلف من مذهب فقهي لآخر.

خامسًا- الاستناد إلى نقول أئمة المذهب السابقين في المسألة أو الأحكام الخاصة بموضوع الاستفتاء.

وهذه العناصر الخمسة -التي تؤسِّس هذا الجزء من نصوص الفتاوى مما يعرف بجزء الجواب الذي هو كلام المفتي- حاكمة على المعجمات الشرعية المختصة الواجب استصحابها عند تحقيق نصوص الفتوى، وهي كما يلي:

أولًا- معجمات مصطلحات علوم القرآن:

الكتاب العزيز هو المصدر الأعلى الأول المتَّفق عليه بين المذاهب الأصولية جميعًا، وحضور مصطلحاته في بنية نصوص الفتاوى بوصفها نصوصًا شرعية أمر مركزي مؤسِّس، وهو ما يفرض استصحاب معجمات مصطلحات علومه، من مثل:

أ- أبواب مصطلحات علوم القرآن الكريم في معجمات المصطلحيات العامة، مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي، ومقاليد العلوم المنسوب للسيوطي، وغيرهما.

ب- معجمات أصول الفقه -كما سنشير فيما بعد-.

ج- معجمات مصطلحات علوم القرآن الكريم في العصر الحديث، من مثل:

- [مصطلحات علوم القرآن، د. سليمان بن صالح القرعوي، جامعة الملك فيصل، السعودية، ١٤٢٣هـ].

- [مصطلحات علوم القرآن، تحرير د. عبد الحليم عويس، وأنور الباز، القاهرة، ٢٠٠٦م].

ثانيًا- معجمات المصطلحات الحديثية:

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الأعلى الثاني المتفق عليه بين المذاهب الأصولية جميعًا، وحضور مصطلحاتها في بنية نصوص الفتاوى بوصفها -كما سبق وقُرِّرَ- نصوصًا شرعية أمرٌ مركزي مؤسِّس مبين ومفصل، وهو ما يفرض استصحاب معجمات المصطلحات الحديثية، من مثل:

أ- أبواب المصطلحات الحديثية في معجمات المصطلحيات العام، مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي، ومقاليد العلوم المنسوب للسيوطي، وغيرهما.

ب- معجمات المصطلحات الحديثية المعاصرة، ولا سيما النوع المستوعب، من مثل:

- [معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور نور الدين عتر، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ١٣٦٩هـ = ١٩٧٦م].

- [معجم مصطلحات توثيق الحديث، د. علي زوين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م].

- [معجم مصطلحات الحديث، سليمان الجرش، وحسين الجمل، تقديم: عبد القادر الأرناءوط، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م].

- [قاموس مصطلحات الحديث النبوي، محمد صديق المنشاوي، تقديم د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م].

- [معجم المصطلحات الحديثية، د. محمود أحمد طحان، ود. عبد الرزاق خليفة الشايجي، ود. نهاد عبد الحليم، مجلة الشريعة، جامعة الكويت، ع٣٦، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م. «ص ص ٩٥-١٧٤»].

- [معجم علوم الحديث النبوي، د. عبد الرحمن الخميس، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م].

- [معجم مصطلحات الحديث النبوي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. محمد نايل، ود. شوقي ضيف، وغيرهما، القاهرة، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م].

- [معجم مصطلحات الأحاديث النبوية، عبد المنان الراسخ، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م].

- [معجم المصطلحات الحديثية، عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م].

- [المعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث، أيمن السيد عبد الفتاح، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م].

- [معجم مصطلحات الحديث، د. محمد أبي الليث الخير آبادي، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٩م].

- [معجم المصطلحات الحديثية، د. عبد الباسط مزيد، مكتبة الإيمان ومكتبة الجامعة الأزهرية، أسيوط، مصر، ٢٠١٠م].

- [دار النفيس... معجم مصطلحات علوم الحديث، ناصر الحلواني، مراجعة: الخشوعي محمد الخشوعي، دار اليسر، القاهرة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١٠م].

- [مصطلحات الحديث والمحدثين، مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، ودار الفؤاد، القاهرة، وفارسكور دمياط، مصر، ١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م].

- [المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المعرفة، تخطيط وإشراف: د. الشاهد البوشيخي، تصنيف: د. عبد الرحمن نجحوبي، ود. شريفة العمري، ومراجعة د. الحسين أيت سعيد، ود. محمد السرار، ود. عز الدين البوشيخي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٤١هـ = ٢٠٢٠م].

ثالثًا- معجمات المصطلحات الأصولية:

أصول الفقه هو علم الأدلة الكلية، وعلم الأصول الجامعة التي تضبط حركة صناعة الفقه وصناعة الفتوى، ومن ثَمَّ فإن حضور مصطلحات أصول الفقه في نصوص الفتاوى أمر يبدو منطقيًّا، وسوف نشير هنا إلى أن التحليل العملي لأهمية معجمات مصطلحات أصول الفقه في تحقيق نصوص فتاوى السبكي الشافعي تفرض علينا الدلالة على معجمات مصطلحات أصول الفقه الشافعي، مع الأخذ في الاعتبار أن المكتبة المعجمية المختصة بمصطلحات أصول الفقه عرفت العناية بمصطلحات أصول الفقه المعتبَرة لدى بقية المذاهب الفقهية، ومن أمثلة معجمات مصطلحات أصول الفقه وفق المذهب الشافعي ما يلي:

أ- أبواب المصطلحات الأصولية في معجمات المصطلحيات العامة التي صنَّفها شافعيون من أمثال:

- مقاليد العلوم المنسوب للسيوطي، إذا صحَّت النسبة إليه.

- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي الشافعي المصري، وغيرهما.

ب- معجمات المصطلحات الأصولية لدى الشافعية خصوصًا، من مثل:

- [الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للشيخ زكريا الأنصاري الشافعي المصري «ت٩٢٦هـ»، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ = ١٩٩١م].

- [كتاب الحدود في الأصول، لابن فورك الشافعي «ت٤٠٦هـ»، تحقيق د. محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت وتونس، ١٩٩١م].

تُضاف إلى هذه القائمة قائمة أخرى بمعجمات مصطلحات أصول اللغة في العصر الحديث التي جمعت وحرَّرت مفهومات المصطلحات الأصولية لدى المذاهب جميعًا [انظر: المعاجم الأصولية في العربية، د. خالد فهمي، دار المقاصد، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م].

رابعًا- معجمات المصطلحات الفقهية وخصوصًا الشافعية:

الفقه، بما هو العلم بالأحكام العملية من أدلتها التفصيلية، يُدرج نصوص الفتوى ضمن ميدان الفقه بامتياز؛ بوصفها نصوصًا تجيب عن أحكام عملية مستندة إلى الأدلة التفصيلية، وهو ما يجعل حضور معجمات المصطلحات الفقهية شرطًا تأسيسيًّا عند تحقيقها.

وفتاوى السبكي بوصفها نصوصًا فقهية شافعية ترفض استصحاب معجمات الفقه الشافعي عند التعرض لتحقيقها، وكل نصوص الفتاوى تبعًا لمذاهب المفتين بها يلزم الاعتماد على معجمات المصطلحات الفقهية تبعًا لهذه المذاهب، وهي كثيرة ومتوافرة.

ومن معجمات المصطلحات الفقهية الشافعية اللازم استصحابها عند تحقيق نصوص فتاوى الشافعية ما يلي:

أ- أبواب مصطلحات الفقه في معجمات المصطلحيات العامة التي صنَّفها معجميون شافعيون، من أمثال: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي الشافعي المصري وغيره.

ب- معجمات المصطلحات الفقهية الشافعية الخاصة من مثل:

- [الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري «ت٣٧١هـ»، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف، الكويت، ١٣٧٩م].

- [حلية الفقهاء، لابن فارس، «ت ٣٩٥هـ»، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، بيروت، ١٩٨٣م].

- [النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، لابن بطال الركبي «ت ٦٣٠هـ»، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٩م].

- [اللفظ المستغرب عن شواهد المهذب، للقلعي، «٦٣٠هـ»، تحقيق د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، جامعة الأزهر، ١٩٩٠م].

- [تهذيب الأسماء واللغات، للنووي «ت ٦٧٦هـ»، المطبعة المنيرية، القاهرة، بلا تاريخ].

- [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي «ت ٧٧٠هـ»، تحقيق: د. عبد العظيم الشنتوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م].

ويلحق بهذه القائمة قائمة أخرى معاصرة لمعجمات المصطلحات الفقهية:

- [يُنْظَرُ: معاجم مصطلحات «عمل الخوارج» أو الفقهية المعاصرة في العربية، ضمن: آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، د. خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م «ص ص ٩٥-١٠٧»].

ويتصل بهاتين القائمتين أنواع قوائم أخرى لمعجمات المصطلحات الفقهية الخاصة بباب فقهي بعينه، مثل مصطلحات الفقه الخاصة بالاقتصاد والأموال والمُزَارَعَة وغيرها.

ويبرز في هذا السياق معجمات الوقف التي لُوحظ ورود فتاوى كثيرة في الأمثلة التي جاءت في العينة المختارة سلفًا هنا.

وقد عرفت المعجمية العربية المختصة التصنيف في تحرير مفهومات مصطلحات الوقف التي يلزم العودة إليها عند تحقيق نصوص فتاوى الأوقاف، من مثل:

- [قاموس مصطلحات الوقف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م].

- المعجم الموسوعي لمصطلحات الوقف والعمل الخيري، د. عطية الويشي، القاهرة، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٨م].

«١/ ٥.٣.١» تضافر الدوائر المصطلحية في تشكيل بنية نصوص الفتاوى:

إن فحص أنواع المعجمات الخاصة التي ظهرت لخدمة مصطلحيات حقول معرفية كثيرة تضافرت جميعًا في تشكيل بنية نصوص الفتاوى بأجزائها الثلاثة:

أ- العنوان.

ب- نص المستفتي «كلام السائل».

ج- نص المفتي «جواب المسألة = يؤكد الفرضية التي قامت عليها هذه المقالة، وهي ضرورة استصحاب هذه المعجمات المختصة عند تحقيق نصوص هذه الفتاوى، وهو الاستصحاب الذي يخدم مفاصل أعمال التحقيق التالية:

أولًا- مفصل مكملات التحقيق الحديثة القبلية المتمثلة في إضاءة دراسة نص الفتوى مشغلة التحقيق، ودراسة السياق التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي أنتجه.

ثانيًا- مفصل معالجة النص: تعليقًا وتخريجًا لما فيه من نقول وآراء وتوثيقًا لها.

ثالثًا- مفصل المكملات الحديثة البَعْدِية المتمثلة في صناعة ملاحق أهمها:

أ- ملحق بالمصطلحات الواردة في نصوص الفتاوى وتحرير مفهوماتها تبعًا لسياقها التاريخي المصاحب للفتوى.

ب- ملحق للأحداث والواقعات وتأريخها كما وردت في الفتوى وإضاءتها.

ج- ملحق بالألقاب والوظائف والمهن والطبقات الواردة في الفتاوى، للإعانة على تشغيلها الحضاري، وفهمها ومساعدتها في دراسة الحقب التاريخية التي تمثلها نصوص الفتاوى مشغلة التحقيق.

الخاتمة

تناول هذا البحث ما عبر عنه بعبارة: الحضور الإمبراطوري للمصطلح في نصوص الفتاوى في التراث العربي.

وقد عالج في هذا التناول:

أولًا- تمهيد حرر فيه جملة من المصطلحات المركزية في البحث وعرفها تعريفا إجرائيا يعين على تمثل مادة البحث.

ثانيًا- بيان حدود الحضور الإمبراطوري للمصطلح في نصوص الفتاوى، التي تمددت على ثلاثة محاور هي:

١-محور مصطلحيات العلوم الشرعية.

٢- محور مصطلحيات العلوم العربية الاجتماعية والتاريخية.

٣- محور مصطلحيات العلوم الحكمية؛ الطبية والفلكية، والجيولوجية.

ثالثًا- بيان العلاقات الحاكمة بين حضور هذه المصطلحيات ونصوص الفتاوى في التراث العربي.

رابعًا- التحليل العملي لمجموعة من نصوص الفتاوى من نص بعينه هو فتاوى السبكي المصري الشافعي الذي عاش في عصر المماليك وولي قضاء الشام مدة.

وقد أنتج البحث جملة من النتائج التالية:

أولًا- تمدد الحضور المصطلحي في بنية نصوص الفتاوى جاء أمرا طبيعيا تابعا لطبيعة هذه النصوص التي نهض تصميمها على العناصر المؤسسة التالية:

أ-عنوان الفتوى، زمانها، وجغرافيتها.

ب-نص السائل/ المستفتي؛ طبيعته، وطبقته، وموضوع سؤاله، إلخ.

ج- نص الجواب/ الفتوى، بما هي نص شرعي تتزاحم فيه الأحكام الشرعية بمصطلحاتها، والأدلة الشرعية بمصطلحاتها؛ إلخ.

ثانيًا- ظهور ضرورة استصحاب قطاعات معجمي مختصة تبعا لتحليل نصوص الفتاوى بأجزائها المذكورة لتغطي المساحات التالية:

١- معجمات مصطلحات التاريخ المحقب، أي المختص بمفهومات مصطلحات التاريخ في عصر المماليك، ومؤسساته الحضارية، مضمومًا إليها مصطلحات السياسة الشرعية.

٢- معجمات مصطلحات العلوم الحكمية، ولا سيما ما يتعلق منها بالصحة والأمراض والأوبئة، والبيئة، والأنواء والرياح، والمياه، إلخ، بوصف ذلك هو الموجه لطلب الفتوى لمواجهة هذه النوازل أو المستجدات.

٣- معجمات المصطلحات الشرعية، من مصطلحات علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم أصول الفقه والفقه والوقف، والاقتصاد، والأموال.

ثالثًا- كشف هذا البحث عن أن إحياء علم تحقيق النصوص التراثية من منظور خصوصية النصوص، وخصوصية الحقول المعرفية يفرض تأمل

القواعـد النظريـة وإعـادة بنائهـا وتجديدهـا، ويفـرض إعـادة بنـاء المصـادر الخاصـة لـكل نوعيـة خاصـة مـن النصـوص التراثيـة.

وقـد راجعـت عـددا ممـن كتـب في **عـدة المحقـق** اللازمـة لنصـوص النـوازل فلـم أجـد عندهـم تنبيهـا إلى أهمية اسـتصحاب الوعـي والتوظيف لهـذه القطاعـات النوعية مـن المعجـمات المختصـة المتصلـة اتصـالا عضويـا بنصـوص الفتـاوى، ومـن هـؤلاء:

- عبـد الرحمـن راشـد الحقـان في [عـدة محقـق الـتراث المالكـي في الفقـه وأصولـه **والنـوازل**، لعبـد الرحمـن راشـد الحقـان، ضمـن: تحقيـق مخطوطـات الفقـه وأصولـه **والفتـاوى والنـوازل**، مؤسسـة الفرقـان، لنـدن، ٢٠١٥م]«ص ص ٤١-٧٥».

- محمـد المصلـح في [صناعـة الفتـوى انطلاقـا مـن كتـب النـوازل المغربيـة، محمـد المصلـح، ضمـن: تحقيـق مخطوطـات الفقـه وأصولـه **والفتـاوى** والنـوازل، مؤسسـة الفرقـان، لنـدن، ٢٠١٥م«ص ص ٢٧٩-٢٩٩»].

***

الفصل الرابع

فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم

مراجعة علمية نقدية

فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم

مراجعة علمية نقدية

٠/ مدخل: لا حدود للتجديد!

ينهض الوعي الحقيقي بالوجود والحياة على إدراك أن ثمة «مسكوتًا عنه»، تتولى الأجيال اللاحقة مهمة الكشف عنه، ومهمة البوح به، ومهمة تجليته للعيان؛ دفعًا لنهضة البشرية، وسُهْمَة في الارتقاء بتأنُّسها من طريق تطوير المعرفة، وتجديد العقل، وتزكية النفس بمنحها العلم الذي ينفعها.

والحقيقة أن فيصل الحفيان مذ عرفته وصحبته وجمعت بيننا أسباب الصداقة على قاعدة الودادة الخالصة في الله تعالى، وفي المحل الأسنى لاعتبارات موضوعية بالأساس، مرجعها إلى «عقله المنير» ونفسه الشفيفة التي تدلُّه على التجديد، بما هو مطلب رشيد في الأمة يصطفي الله تعالى لخدمته من يشاء من عباده، ليدلوا الناس على ما به «فقه» الحياة من طريق فقه العلم.

والتجديد أو تبعيض التجديد سنة ربانية ماضية في الأمة؛ إذ أخبر المصطفى ﷺ فيما أخرجه أبو داود في سننه قائلًا: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».

وتطوير المعرفة يقع في قلب ميادين التجديد وقضاياه المُلِحَّة، يقول الدكتور أحمد الريسوني في كتاب [التجديد والتجويد... تجديد الدين وتجويد الدين، د. أحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، «ص٣٣»]:

«التجديد العلمي... هو المحرك المنطلق، وهو البوصلة والنبراس لأي تجديد آخر...، فلا بُدَّ لكل تجديد -لكي ينطلق سليمًا ويمضي رشيدًا- من التسلُّح بالعلم».

ومن ثَمَّ فإن الفرح العملي والبهجة الآمنة بهذا الكتاب تنبعث من الوعي بهذه الحقيقة التي ينبثق منها، وتخرج من أرضها، أرض التجديد، تجديد الأمة!

١/ «فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم»:

خطاب المادة والانتماءات المعرفية والقيمة العلمية والحضارية:

١/ ٠- معلومات الإصدار:

صدر هذا الكتاب سنة ٢٠٢٣م عن مركز أبو ظبي للغة العربية، في دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، بتصدير لرئيس المركز الدكتور علي بن تميم.

١/ ١- خطاب مادة الكتاب:

تضمَّن هذا الكتاب تصديرًا لرئيس مركز أبو ظبي للغة العربية، ومقدمة وستة فصول، وخاتمة، كما يلي:

٠/ تصدير ومقدمة، جاء فيهما: «٠/ ١ إقرار صدور الكتاب عن وعي وإرادة دولة الإمارات إلى خدمة العربية، ٠/ ٢- نحو وعي جديد بالتحقيق».

١/ الفصل الأول «التمهيدي»، فقه المخطوط، وتناول «١- المصطلح / ٢- الحد الزمكاني / ٣- الكينونة / ٤- تصور رباعي: وظائف الكيان، وخصائص الخوارج».

٢/ الفصل الثاني، فقه المصطلح، وتناول «٠- فقه المصطلح النواة: التحقيق رأسًا وحده/ مزاحمة وإزاحة / تعليقات / السياق العام: اللغوي / والمعرفي/ ٢- المعاني اللغوية وتنزُّلها: النواة الدلالية / تنزيل المعاني / ٣- التأصيل

والتأريخ: إشكال التأصيل / ٤- تجاذب المصطلحات: القراءة، والتحرير، والضبط، والتصحيح، والمقابلة، والمعالجة، والنقد، والتدبير».

٣/ الفصل الثالث، فقه العلم، تناول «٠- فقه العلم: السند / ١- هل التحقيق علم؟ / ٢- التسكين المعرفي والتاريخي: في التراث، وفي الغرب / الخروج من الشرنقة الآلية، الموضوع ورسم الحدود، والمباني المعاني، اللغة وبناء الجهاز الاصطلاحي، الأدبيات ومراجعة الأسس / ٤- استعادة العلم: التأسيس لسند نظري، أو البحث عن التعالقات المعرفية / ٥- رسم التصور».

٤/ الفصل الرابع، فقه التوثيق، وتناول «٠- فقه التوثيق: العمود الفقري / ١- التأسيس المفهومي / ٢- أدبيات التوثيق / ٣- البنيان النظري».

٥/ الفصل الخامس، فقه التعليق وتناول «٠- فقه التعليق: النص الموازي / ١- سيرة اللفظ وحمولته / ٢- عالم الاصطلاح وتضاريسه / ٣- الوعي بالتعليق / ٤- الإطار النظري للتعليق».

٦/ الفصل السادس، فقه الدرس، وتناول فيه «٠- فقه الدرس: التركيب / ١- تشييد الوقائع / ٢- خريطة العمل / ٣- حديث التمهيد».

٠٠/ خاتمة، تناول فيها «حصادًا ينتظر المراكمة».

١/ ٢- الانتماءات المعرفية:

هذا كتاب ثري في انتماءاته المعرفية؛ إذ يتمدد تمددًا ظاهرًا، ليشتبك مع حقول معرفية متنوعة، يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا- حقول دراسات علم تحقيق النصوص التراثية، وهو الانتماء المركزي الذي يسعى إلى تشييده وسكناه في الوقت نفسه.

وهذا الانتماء يتولَّد من تحليل خطاب:

أ- خطاب العنوان بما فيه من قيد «فقه التحقيق».

ب- خطاب المقدمة، حيث يقول الدكتور الحفيان «ص١٣»: «هذا كتاب يسعى إلى أن يتكلم في... قضايا التحقيق الرئيسة المركزية».

ج- خطاب المادة الحاسمة في الإجابة عن السؤال المؤسِّس الذي افتتح به المؤلف حديثه عن «فقه العلم؛ ص٩٣» حيث يقول: «التحقيق علم؛ لأن له اليوم رؤية وتاريخًا، ورجالًا وكتبًا، هذه العناصر الأربعة كافية لكي نصف المعارف التي نملكها بأنها علم، والتحقيق يملكها، ومن ثَمَّ فهو علم».

ثانيًا- حقل الدراسات الفيلولوجية، بوصفه يعالج عددًا كبيرًا من مسائل دراسة النصوص القديمة «التراثية» وهو حاق مفهوم الفيلولوجيا، يقول المؤلف «ص١٠٨»: «اعتمد الغربيون للتعامل مع النصوص القديمة؛ «التراثية» سندًا معرفيًّا ومنهجيًّا، تمثَّل فيما أسموه علم الفيلولوجيا؛ «philology»».

وإذا كان مفهوم الفيلولوجيا «ص١٠٩» يدور حول «الدراسة العلمية للنصوص الأدبية»، ويعني كذلك «ص١٠٩»: «العناية بتوثيق النصوص وتحقيقها ونشرها والتعليق عليها»، فإن هذا الكتاب بما أفرد من فصول لهذه القضايا ينتمي بوضوح تام إلى حقل دراسات الفيلولوجيا، أو حقل العناية بدراسة النصوص القديمة «التراثية».

ثالثًا- حقل دراسات الكوديكولوجيا:

ينتمي هذا الكتاب إلى حقل دراسات الكوديكولوجيا أو دراسات المخطوط بوصفه وعاءً ماديًّا حاملًا للنصوص، وهو أمر واضح جِدًّا في عمل المؤلف عندما يقرر أن ثَمَّة أبعادًا تحيط بتصور المخطوط هي «ص٢٧»: «بُعد الوعاء وبُعد الخوارج أو القيود وبُعد الصورة أو الجماليات، وهي جميعًا قضايا من صلب هذا العلم».

ويقول المؤلف «ص٣٦»: «غدا المخطوط حقلًا معرفيًّا واسعًا، وجاوز النظر إليه النص الذي يحمله، ولذلك فإن الحديث اليوم عن «علوم المخطوط» لا عن علم واحد».

ويقول «ص٣٧»: «ثمة حقل ينهض فيه العلماء بالعناية بالبنية المادية للمخطوط وتاريخه ومجموعاته، ومواقع انتشاره، وفهرسته، وفهرسة فهارسه، وتجارته، وأمور أخرى تندرج جميعًا ضمن حقل بحوث الكوديكولوجيا «codicology»».

رابعًا- حقل دراسات التاريخ والآثار:

يُعَدُّ المخطوط وعاءً ونصًّا ومجالًا لدراسات المؤرخين الآثاريين، وأما أنه مجال لدراسات المؤرخين فظاهر جِدًّا من تأمل علامات كثيرة هي:

أ-قدمه التاريخي بوصفه تراثًا.

ب-احتفاظه بعدد من عناصر الماضي، إن على مستوى مادته المتمثلة في الورق أو غيره، وفي الأحبار والأمدة، وفي جمالياته وخطوطه، وألوانه، وإن في الروح التي يحتفظ بها في لغته ونسق تأليفه، وما إلى ذلك.

وأما أنه «أثر» فظاهر أيضًا بوضوح جِدًّا من كونه «مادة» مرَّت عليها قرون متطاولة، يقول المؤلف «ص٣٧»: «في القيمة الأثرية يكون الاستناد إلى ما يسمى... علم المخطوطات»، ويقول: «إن أثرية المخطوط هي التي تشغل الأثريين... هؤلاء الذين يُعنون بالبنية المادية للمخطوط».

خامسًا- علم المكتبات والمعلومات:

إن هذا الانتماء واضح جِدًّا من كون المخطوط وعاءً يتحرك حاملًا نوعًا من المعرفة، ومن ثَمَّ تجلى هذا الوعي في إدراج علم المخطوط ضمن مقررات أقسام المكتبات والمعلومات في عدد من الجامعات العربية.

سادسًا- علم مصطلح الحديث:

ينتمي الكتاب -كذلك- إلى علم الحديث من منظور التسكين التراثي، يقول المؤلف «ص١٠٤»: «التحقيق في تراثنا... جزء من علم الحديث... لأن

«الحديث» يمثل منهج النقد التاريخي الإسلامي في أرفع صوره وأكملها». ويقول أيضًا: «لقد حفزت البنية المعرفية لعلم الحديث على إفراز الآلية التي نسميها اليوم علم التحقيق «و» إن آخر طرق التحمل؛ تحمل العلم فيه؛ أعني «الوجادة» [أو النقل من الكتب] على وجه الخصوص هي التي كانت وراء القواعد والضوابط التي تشكلت تدريجيًّا حتى بنت هذا الصرح العالي».

ويزيد المؤلف الأمر وضوحًا فيقول «ص١٠٥»: «إن المحدِّثين كانوا في تعاملهم مع النصوص ما كانوا يقمِّشون، ويجمعون النسخ، ويقابلون ويثبتون الفروق، أو يعلقون، ويفهرسون، أو يكشفون «فقط»؛ وإنما كانوا يمارسون هذه الأعمال وهم يمتلكون القدرات التي تؤهلهم لنقد محتويات النصوص».

سابعًا- حقل دراسات أدب العلم:

يقول المؤلف«ص١٠٤»: «التحقيق في تراثنا جزء من... علم أدب العلم... إذ العلم في تراثنا قيمي في ذاته وفي حركته، أي في انتقاله، وعليه فإن التحقيق صار جزءًا من الأدب الذي كان جزءًا من مصنفات علم الحديث إلى أن انتقل على أيدي المحدثين أنفسهم».

ثامنًا- حقل دراسات الفلسفة:

هذا انتماء ظاهر جِدًّا على الأقل من منظور معالجة المؤلف؛ ذلك أنه سعى إلى الإعلان عن استقلال علم التحقيق، وهو ما دفعه إلى فحص الأصول المعرفية «الإبيستمولوجية»، وهذا من صلب القضايا التي تأسست الفلسفة عليها.

ثم إن المؤلف مدرك تمامًا لما يُسمى النطاق الخُلُقي الذي حكم مسيرة هذا العلم في نشأته التراثية، والخُلُق أيضًا من صلب قضايا الفلسفة التي تأسست عليها .

١/ ٣- القيمة العلمية والحضارية:

يكشف تحليل هذا الكتاب؛ غايةً وبِنْيَة ومادةً، عن قيمة علمية وحضارية حقيقية تتجلَّى من العلامات التالية:

أولًا- جِدَّة الغاية التي تروم إعلان استقلال «التحقيق» ليكون علمًا له رؤيته، ومبادئه المعرفية / الإبيستمولوجية، وهي غاية صادرة عن وعي، «ص١٢»، وهذا الوعي يصدر العنوان الفرعي «من الصنعة إلى العلم»، «فالفقه بمعانيه تلك ينتقل بالتحقيق من كونه آلية نعلمها في الكتب إلى عمل في النصوص يستند إلى نظر عميق يبني علمًا».

ولا تقف هذه الغاية عند حدود الإعلان العابر عنها في المقدمة كما رأينا، وإنما يتجاوزها إلى الفحص الدقيق الذي ينتهي إلى الإقرار بأن التحقيق علم «ص٩٣»؛ ذلك «أن للتحقيق اليوم: رؤية واضحة ومحددة، وأعني بالرؤية: التصور الخاص بموضوع العلم، وحدوده، وغاياته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: البنية التي ينهض عليها، والمتمثلة في: خصوصية المنهج / ووحدة الأداة / وطبيعة المعرفة».

ثانيًا- الصدور عن خبرة وتجربة عملية مستندة إلى تكوين علمي متين، وهذه الخبرة والتجربة العملية عمَّقها وارتقى بها أمر الممارسة في ميادين ثلاثة هي:

أ-البحث العلمي الذي أثمر نشر بحوث كثيرة في ميدان التنظير لعلم تحقيق النصوص، وخُلُقِيَّاته.

ب-التدريس في البرامج المختلفة، والدورات التأسيسية والورشات العملية في معهد المخطوطات العربية، ومركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، ومركز تحقيق النصوص بدار الكتب المصرية، وفي عدد من العواصم العربية والإسلامية.

ج-الإدارة التي شغلته -وما تزال- على امتداد ما يقرب من أربعة عقود في مجال إدارة المشروعات التراثية، وفي القلب منها شئون المخطوطات العربية، وتحقيقها، ونشرها، ونقدها، وفهرستها... إلخ.

ثالثًا- تمتع هذا الكتاب بقدر ظاهر من التنظيم الدقيق، والتسلسل المنطقي المُحْكَم المترابط.

رابعًا- المعالجة المستوعبة لقضايا العلم، بدءًا من القضايا التمهيدية وانتهاءً بقضايا استشراف المستقبل والدلالة على ما به تراكم خدمة بحوثه ومسائله.

خامسًا- الرؤية النقدية المقارنة؛ إذ صَدَرَ الدكتور فيصل الحفيان في معالجة قضية إعلان استقلال التحقيق بوصفه علمًا له رؤيته المحددة عن سِمَتَيْنِ منهجيتين واضحتين هما:

أ- الروح النقدية لاتجاهات التصنيف السابقة عليه في ميدان تحقيق النصوص، يقول «ص١٠٠»: «بين أيدينا الآن عشرات الكتب المعيارية والبحوث والمقالات بل مئاتها، هي حصيلة نحو قرن من الزمان تلاحقت... وما لبثت أن آضت انهمارًا كميًّا أكثر منه نوعيًّا؛ ذلك أنها في أغلبها الأعم إنما كانت تستقي من سحائب القطر الأول، لا تزيد عليه، وتدور في فلكه، لا تخرج عنه».

ب- الرُّوح المقارنة التي تدخل في موازنات مع من عالج بعضًا من القضايا التي عالجها هذا الكتاب، وهي مقارنة تهدف إلى ما يلي:

- سَبْر أغوار كل قضية.
- تأصيل كل قضية.
- ما تتسم به المحاولات السابقة من خصائص وميزات.
- انتقاد التصور، أو الاضطراب أو التناقض في معالجات السابقين عليه.
- بيان الفروق المنهجية عند التشابه بين معالجات سلفه، ومعالجاته هو.

٢/ كتاب «فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم» للدكتور فيصل الحفيان: خطاب الأفكار

يعالج هذا الكتاب سعيًا إلى تحقيق غايته المعلنة، وهي «تدشين» علم التحقيق، وإعلان استقلاله علمًا يستند إلى «ص١٢»:

أ-نظر عميق.

ب-تستحيل فيه الخطوات والإجراءات مكملة عدته.

ج- وتستكن معهما مسألة الوعي المعرفي والمنهجي.

د- وتترسخ الملكات بمعاناة النصوص ومعايشتها.

وجاء أهم القضايا والأفكار التي عالجها كما يلي:

٢/ ١- فقه المخطوط: البنية والوظائف والعوالم:

افتتح المؤلف محاولته الجسور بفصل تمهيدي تناول فيه «فقه المخطوط» بما هو كينونة تاريخية حقة، مقرِّرًا في سبيل ترسيخ هذه الرؤية ما يلي:

أولًا- المصطلح:

يعرِّف المؤلف «ص١٩» المخطوط / manuscript بأنه «هو الكتاب التاريخي التراثي المكتوب بخط اليد، سواء حُقِّقَ ونُشر أو لم يحقق ولم ينشر؛ إذ الوجود الخطي يظل قائمًا حتى بعد أن يصبح له قرين من وجود مطبوع».

ويحيط المصطلح حزمة من المعلومات التالية:

أ-مصطلح المخطوط حديث العمر، تزامن مع ظهور الآلة التي أنتجت لنا الكتاب المطبوع في منتصف القرن ١٥م.

ب-مفهوم المخطوط في الغرب يدور حول أنه: الكتاب التاريخي التراثي / المكتوب باليد.

ثانيًا- الحد الزماني للمخطوط يرتبط بالأساس ببدايات القرن العشرين الميلادي، «القرن الثالث عشر الهجري».

ثالثًا- الكينونة الخاصة للمخطوط تدور حول ما يلي:

أ- أنه أثر بكيانه «جلد / ورق / حبر / صنعة» / طبيعة مادية.

ب- أنه معرفة / طبيعة علمية ومعرفية «شعورية».

رابعًا- التصور العام للمخطوط له أربعة أبعاد هي:

أ- بُعد الوعاء.

ب- بُعد النص.

ج- بُعد القيود «الخوارج».

د- بُعد الصورة «الجماليات».

ويتحرك المخطوط بهذه الأبعاد لتحقيق عدة وظائف هي:

أ- وظيفة حمل النص وحفظه.

ب- نقل النص.

ج- استمرار النص «حياته آلاف السنين بطريق التَّنَاسُخ».

ويتوقف المؤلف أمام خصائص «الخوارج» بوصفها نصًّا موازيًا، ومصطلح «النصوص الموازية» هو المصطلح الذي يقترحه د. فيصل الحفيان، يقول «ص٣٣»: «ونظرًا لخطر هذه القيود أو الحواشي «بحسب الاصطلاح التراثي» أو الخوارج «بحسب الاصطلاح العصري في إطار علم المخطوطات»، فإنا رأينا أن [نَسُكَّ] لها مصطلحًا جديدًا في إطار المخطوطات هو: «النصوص الموازية»».

٢/ ٢- فقه المصطلح النواة:

يفتتح المؤلف الفصل الثاني بعبارة جامعة هي «ص٤٣» أنه: «لا ينافسه مصطلح آخر لا في سيرورته ولا في استيعابه»، وقد قرر في هذا الفصل ما يلي:

أ- التحقيق مصطلح مركزي يمثِّل ظهوره واستعماله رأسًا ومحورًا.

ب- ثمة مزاحمات من مصطلحات أخرى لكنها تراجعت مع الزمان، وهي:

- الشرح.
- التعليق.
- الضبط.
- التقديم.
- الدراسة.
- القراءة.
- المقابلة.
- المعارضة.

وقد قرَّر بعد ذلك الرصد قائلًا «ص٤٨» إن: «التحقيق مصطلح كافٍ للدلالة على مجمل عمل المحقق، يغني عن ذكر المصطلحات الأخرى، ويجُبُّها».

ويحيط بفهم «فقه المصطلح» كا يلي:

أولًا- قيام سياقات متضافرة حاكمة هي:

أ- السياق اللغوي الذي تدور معه كلمة «التحقيق» حول دلالات التكثير، والنسبة، والإحقاق... إلخ.

ب- السياق المعرفي القديم بما يقدِّمه من تعريف للتحقيق بأنه إثبات لقضية غير المفهوم الذي استقر للتحقيق بوصفه مقاربة متوجهة بالأساس للعناية بألفاظ النص.

ثانيًا- تدور المعاني اللغوية وتنزيلها حول ما يلي:

أ- تدور النواة الدلالية حول: «المطابقة والموافقة / والأحكام والصحة».

ب- تنزل هذه المعاني على ما يلي:

- الإحكام.
- التصحيح «إحكام وزيادة».
- الثبوت.
- الوجوب.
- الصدق.
- التزيين.
- الحقِّية «الحكمة / والاستقامة».

ثالثًا- وحول التأصيل والتاريخ يقرر المؤلف ما يلي:

أ- المصطلح ناتج من جذر عربي خالص.

ب- حضر المصطلح عنوانًا على عدد من كتب التراث العربي.

ج- حضر المصطلح في الأجهزة الاصطلاحية لعدد من حقول المعرفة مثل التصوف، والقراءات، وعلم العربية.

د- استخدام المصطلح بالمعنى الاصطلاحي مع بدايات القرن العشرين على يد المرحوم أحمد زكي باشا «ت ١٣٢٣هـ = ١٩٣٤م».

وقد استقرَّ الأمر فصار مصطلح التحقيق هو المصطلح الدال على العلم المعني بالتعامل مع النصوص القديمة «التراثية»، وقد جاء هذا المصطلح ليكون مكافئًا تَرْجَمِيًّا يواجهه: criticism/ editing/ وeuthentification.

رابعًا- تجاذبات المصطلح، ومع ذلك فقد دخلت مجموعة من المصطلحات في تجاذبات مع المصطلح المستقر، وهي:

أ- القراءة «تدقيق النص».

ب- التحرير «خلوصه وتحسينه وإقامة حروفه وإصلاح سَقْطِهِ».

ج- الضبط.

د- التصحيح.

هـ- المقابلة.

و- المعالجة.

ز- النقد.

ح- التدبير.

٢/ ٣- فقه العلم... السند:

يتحرك الدكتور فيصل الحفيان بالأساس من منصة أن التحقيق: «علم»، وقد رصد في سبيل إقامة الدليل على هذه الرؤية ما يلي:

أولًا- التحقيق علم له رؤية / وتاريخ / ورجال / وكتب.

وقرَّر أن هذه الرؤية كانت غائبة على مستويي العمل / والنظر.

والحقيقة أن دعوى «غياب الوعي» بحقيقة كون التحقيق علمًا بُولِغَ فيها بدرجة كبيرة، ربما يكون مرجعها إلى تسلُّط الفكرة الجديدة على ذهن الدكتور فيصل الحفيان، صحيح أن الدكتور الحفيان رصد ما سماه المثال الوحيد الذي «انحاز» أو تنبَّه إلى أن التحقيق علم، يقول «ص٩٥»:

«لعل الوحيد الذي انحاز مثلنا أو انحزنا مثله إلى «علم» هو فخر الدين قباوة [و: ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م]، فقد دفع بالكلمة وأظهرها على غلاف كتابه: «علم التحقيق للمخطوطات العربية: بحث تأسيسي للتأصيل»، وكان واعيًا بهذا الظهور».

وهذا العمل الذي صدر سنة ٢٠١٥م ليس المثال الوحيد؛ فقد كتب الدكتور خالد فهمي كتابه [أنشودة المتن والهامش: نحو إحياء جديد **لعلم** تحقيق النصوص والتراثية، الذي صدر ٢٠١٥م]، كذلك، وكما نرى، يظهر في عنوانه استعمال قيد «علم» قبل: تحقيق، ويقول «ص٢٩»: «**وعلم** تحقيق النصوص **علم** عريق».

ويقول أيضًا: «وقد هيمن على أدبيات **علمي** تحقيق النصوص، ونقد التحقيق إلى اليوم نوع إجمال لا يفصِّل الأصول، ولا يفرِّع القول فيها، وهيمن عليها اعتماد اللاحق على السابق، فشاع استنساخ عمل الرواد، وإعادة تنظيمه في عمل المتأخرين بغير زيادة، ولا تعميق في الغالب».

ويقول «ص٢٩» فيما يُفهم منه صراحة الوعي بأن التحقيق علم: «وهو الأمر الذي يفرض ضرورة الدعوة لإعادة الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص، وعلم نقد التحقيق في العصر الحديث».

وقد كان خالد فهمي أقل انتصارًا للنفس عندما قرر أن ثمة علامات على نوع تطور إيجابي نحو إعلان التحقيق **علمًا**، ونقد التحقيق علميًا: «يُنْظَرُ: أنشودة المتن، ص ص ٢٩-٢٠».

ثانيًا- التسكين المعرفي والتاريخي لعلم التحقيق يقع في قلب حقلين معرفيين من المنظور التراثي، هما:

أ-علم الحديث، فعلم التحقيق تراثيًّا جزء منه.

ب-علم أدب العلم.

وأما التسكين في الخريطة الغربية فإن التحقيق يقع في قلب الفيلولوجيا التي ولدت علم نقد النصوص الذي يوازي التحقيق؛ «ص١٠٩» «ذلك أن موضوعه هو التأكد من النص الحقيقي الذي أراده مؤلفه».

ثالثًا- الخروج من شرنقة الآلية:

حدَّد المؤلف ثلاثة أمور رآها السبيلَ للخروج من شرنقة الآلية وإعلان استقلال التحقيق علمًا له رؤية منهجية، وهي:

أ- التحقيق نظر.

ب- التحقيق عمل وتطبيق.

ج- التحقيق اصطلاح أوله جهاز مفهومي.

وقد قرَّر في سبيل ذلك ما يلي:

أ- موضوع التحقيق هو النص اللغوي العلمي التاريخي.

ب- صورة النص هي الصورة المكتوبة؛ «ص١٢١» «فقد وُلد التحقيق من رحم «وِجَادَة» علم الحديث، والوجادة هي التجلِّي المكتوب للنصوص المروية بعد غياب صاحبها».

ج- تتشكل لغة هذا العلم من جهاز اصطلاحي، ينبغي أن يكون مُحَرَّر المفهومات، ومنضبط الدلالات، ويلزمه التطوير والتحديث، وتطارده صور التداخل والإقحام، والتزاحم.

رابعًا- الأدبيات ومراجعة الأسس:

سعى المؤلف -طلبًا لتعيين المفهوم والمجال- إلى مراجعة الأدبيات السابقة، ليقرِّر بعد نقدها أن ماهية علم التحقيق تتوجه إلى «تحقيق اللفظ»، وأنه لا سبيل إلى تحقيق المعنى، يقول «ص١٣٢»: «وإذن فإن عمل المحقِّق إنما يتوجه إلى الألفاظ أو الصور اللغوية، وليس إلى المعاني».

وبناءً على ذلك، فإن علم التحقيق يحتاج إلى «ص١٣٦»: «بناء سند معرفي منهجي جديد يُكسب قواعده وضوابطه وإجراءاته لُحْمَةً وسُدًى يجاوز بها ظواهر النصوص إلى دواخلها ونشرها الحديث»، ثم يقول بوضوح شديد «ص١٣٨»: «لا يتبقى أمامنا سوى... بناء سند معرفي ومنهجي جديد».

والرجل لا ينفي الجذور التراثية أو الفيلولوجية الوافدة، فتراه يقول إن السند الجديد لن يكون شيئًا غير السند الحديثي [الجذور]، والسند الفيلولوجي [الوافد]، وهو سند جديد من جهة تأسيسه على نسب ومقادير معتبرة. وهذا السند متصل بحزمة من الحقول المعرفية التي يمنحه الاتصال بها تعزيزًا لهذا السند، وهذه العلوم «المساعدة» هي:

أ-علم التاريخ.

ب-علم اللغة.

ج-علم المخطوط.

د-علم تاريخ النص.

خامسًا- رسم التصور:

يخلص المؤلف بعد ذلك كله إلى اقتراح بتعريف يقرر فيه أن التحقيق هو «ص١٥١»: «آلة نقدية بها يُتوصل إلى توثيق النصوص العلمية المخطوطة القديمة، ونفي أكدارها، وإعادة بناء صورها اللغوية، وتثبيتها، وخدمتها، ودراستها بالاعتماد على تجلياتها التاريخية، وبالإفادة من المصادر».

ويرتب في تحليله لهذا التعريف ما يلي:

أ- التحقيق علم عملي غير مقصود لذاته.

ب- منهج علم التحقيق هو النقد التاريخي.

ج- مجال الاشتغال هو النصوص العلمية «وليس الوثائق والحجج؛ إلخ» التي وصلت إلينا في وعاء مكتوب، وليس مرويات مسموعة.

د- غاية هذا العلم هو تخليص النصوص من: «-النقص / والزيادة / والتكرار / والاضطراب / والتصحيف / والتحريف» وهذه الأكدار التي تقع من النص لا المؤلف، أما أخطاء المؤلف فليس للمحقق أن يغيرها، ولكن يعلِّق عليها.

هـ- التحرير جزء من ماهية التحقيق، والعمليات التي ينهض بها هي:

- الإصلاح / والإقامة / **وترميم النصوص**/ والتقويم / والتثبيت.

- الضبط ركن من ماهية التحقيق، ويعالج ثلاثة أمور؛ هي: «الشكل الصرفي / والنحوي / **والتَّفْقِير**».

ز- الدراسة جزء من ماهية التحقيق، ويتناول الدراسة التي تسبق النص اعتمادًا على المصادر العلمية، وهي أنواع

أ- منابع النص.

ب- مَصَابُّ النص.

ج- روافد النص المماثلة.

٢/ ٤- فقه التوثيق: العمود الفقري:

يفتتح الدكتور فيصل الحفيان هذا الفصل «المحوري» بعتبة نصية جامعة يقول فيها «ص١٥٧»: «إن فقه التوثيق يحل إشكال تصديق النص في هُوِيَّته وفي تَكْوِينِيته»، وهو في هذا يستعير مصطلحين محوريَّين سَكَّهُما الدكتور خالد فهمي وتوصَّل إليهما في كتابه المذكور سلفًا [أنشودة المتن والهامش... نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م «ص ص ٧٦-١١٥»] يقول «ص١٦»:

«توثيق النص يتوزع على ثلاثة مستويات، يمكن بيانها كما يلي:

- توثيق الماهية.

- توثيق الملكية «وهما فَرْعَا توثيق الهوية».

- «توثيق التكوينية».

وفي فاتحة هذا الفصل يقرِّر المؤلف أن «التوثيق «هو» روح الكتابة الذي يبعث فيها الحياة، فيصبغها بالعلمية التي تحيطها بالهيبة والجلال». ويقول «ص١٥٧»: «إن التوثيق في الدراسة يقابل التعليل العلمي في الدراسات المادية التجريبية».

وقد قرَّر في هذا الفصل ما يلي:

أولًا- ينهض التأسيس المفهومي للتوثيق على المعنى المعجمي «الأمانة» و«الفهم»، ثم انتقل إلى تحليل التعريف الذي اقترحه الدكتور خالد فهمي في الأنشودة «ص٧٦» الذي يقول فيه: «التوثيق إجراء يستهدف إثبات معلومات محتوى النص وفق منهج علمي مُعَلَّل مُطَّرِد؛ للتأكد من صحة النص وصحة معلوماته ومحتوياته»، وعلَّق مستدركًا أو ناقدًا هذا التعريف مقرِّرًا تورُّطه في «**الغفلة**» عن المجال، مع أن د. خالد فهمي تكلم عن النص، والنص كاملًا يتضمن «**عتباته**»!

ثم إن د. خالد فهمي ألحَّ على توثيق النسبة إلى المؤلف في دستوره ذي المحاور الثلاثة:

أ- توثيق الماهية.

ب- توثيق الملكية «وهما فرعان لتوثيق الهوية».

ج- توثيق التكوينية «المحتويات».

ثانيًا- رصد الدكتور فيصل الحفيان أدبيات التوثيق التي ظهرت وتنامت واستمرت منذ القديم إلى العصر الحديث، وهي:

أ- تواتُر العناية بفعل التوثيق في التراث الإسلامي بامتياز.

ب- تواتر العناية بفعل التوثيق في العصر الحديث لدى برجشتراسر، ود. عبد المجيد دياب، ود. رمضان عبد التواب، ود. يحيى الجبوري، ود. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ود. فخر الدين قباوة، ود. خالد فهمي، ود. عباس أحمد رحيلة.

ثالثًا- البنيان النظري للتوثيق يدور حول:

أ-تفتيت النواة الدلالية للتوثيق بوصفه = الربط والشد والرباط والوثائق، وعناصر هذه العملية المختلفة: «القائم بالعلمية / والأداة / والعملية نفسها / والشيء الذي هو محل العناية / والعقدة».

ب-وتنزيل هذه الدلالات على المصطلح يكشف عمَّا يلي: «القائم بعملية التوثيق؛ المحقق / والأدوات وهي: صور النص؛ والنسخ / الأوعية المادية الحاملة للنصوص / والقيود / والمصادر الخارجية / والنص محل التوثيق / والعقدة هي الثمرة التي تحقِّق في الموطن محل التوثيق».

وبناءً على ما تقدَّم سعى الدكتور فيصل الحفيان إلى فك الاشتباك بين التوثيق والتحقيق، والتوثيق والتخريج والتوثيق والتعليق، والتوثيق، والنقد.

وترتَّب على ذلك ما يلي:

أ- التوثيق آلية من آليات التحقيق.

ب- التوثيق يسع الاستعمال في عزو النصوص المتنوعة إلى أصحابها ومصادرها، مع الاحتفاظ بمصطلح التخريج للتعامل مع نصوص الأحاديث النبوية التي تَـرِدُ في النصوص.

ج- التعليق أعم من التوثيق.

د- النقد هو نواة التوثيق الدلالية.

٢/ ٥- فقه التعليق: النص الموازي:

يرى الدكتور فيصل الحفيان «ص١٩١»: أن ملكة التعليق يتفاضل بها المحققون، «وأن التعليق فن قائم بنفسه، وهو الدليل على وعي المحقق بوظيفته، والدليل على قدراته على التعامل مع النص مشغلة التحقيق، والتعليق عمل علمي محتوم بحزمة أسس وضوابط».

وسعيًا إلى تحرير هذه المسألة، يقرِّر ما يلي:

أولًا- التعليق في المعنى المعجمي يدور حول اللزوم والارتباط والنفاسة.

ثانيًا- التعليق مصطلح رَحَّال، عابر للحقول المعرفية، وهو في ميدان التحقيق «ص١٩٧»: «يشمل التفسير وغيره، ويميل إلى النقد والتكثيف».

ويتداخل مع مصطلح التعليق مجموعة أخرى من المصطلحات، هي: «التحشية / والشرح / والتهميش/ والإضاءات / والتوضيحات / والتفسير، والطرة / والتقييد / والحواشي»، ولعل مرجع ذلك هو وجود ترادف بين هذه الكلمات في المستوى اللغوي العام من جانب، والخلط بين العمل العلمي التاريخي الخالص في التعليق على النصوص والتحشية، وكتابة الطرز عليها، والعمل العلمي أيضًا الحاضر في التعليق على النصوص كذلك في إطار علم التحقيق الذي يتغيَّا استعادة النصوص بغرض نشرها.

ثالثًا- التعليق هو المصطلح الذائع المستقر، وقد كان ذلك الحضور والاستقرار بسبب «ص٢٠٣» «النواة الدلالية اللغوية للفظ؛ إذ «التعليق» يحمل ذاك المعنى «اللزوم» الذي يشير إلى المكتوب في الحواشي على النص»، وهو معنى لا نجده في غيره من الألفاظ.

رابعًا- يتبلور «الوعي بالتعليق» في إدراك كونه يستند إلى رؤية منهجية تفرق ابتداءً بين:

أ- الضبط.

ب- وإفادة القارئ بتعليق معلومات على النص.

ويخلص المؤلف إلى رؤية جديدة قائمة على ثلاثة عناصر، هي:

أ- التعليق -أيًّا ما كان نوعه أو ارتباطه- مصدره المحقِّق.

ب- التعليق -أيًّا ما كان نوعه أو ارتباطه- يشغل تلك المساحة التي هي خاصة بالمحقق «الهوامش» [footnotes].

ج- التعليق يعكس رؤية المحقق لعملية التحقيق، وطريقة المعالجة.

والحقيقة إن المؤلف يُحسن عندما يقرر أن الوعي بالتعليق وعي مركب غني، وهو ما أفضى به إلى تعيين الأنواع التالية منه:

أ- التعليق البنائي «يهدف إلى إعادة بناء النص من طريق تحريره».

ب-التعليق التوثيقي «يهدف إلى الكشف عن ينابيع النص ومَصَابِّه».

ج-التعليق الخدمي «تقريب النص وتذليله».

د-التعليق النقدي «يهدف إلى تقديم النص».

ومن كل ذلك يتوصَّل الدكتور الحفيان إلى أن التعليق «ص٢٢٢»: «نص موازٍ للنص الرئيس الذي هو موضوع التحقيق ومشغلته». وهو مع هذه الأهمية يبقى غير مزاحم للنص، متمايزًا منه تمامًا من جهة الجغرافيا غير مختلط به، ومن جهة الكثافة، فلا يصح أن يطغى التعليق على المتن.

٢/ ٦- فقه الدرس... التركيب:

في خطوة مهمة يصل إلى «فقه الدرس» بوصفه مركزَ ما يُعرف بالمكملات الحديثة في الخطاب التقليدي لمدونة أدبيات تحقيق النصوص في العصر الحديث، فيقول «ص٢٣٧»: «الدرس النصي يقابل العرض التاريخي؛ فكلاهما: تركيب للعمل ووقائعه».

والدرس في ميدان علم التحقيق ينهض به المحقق، ويقتفي به أثر النص ورؤية النص في ذاته، ومصادره التي تكون منها. ويتسكن الدرس شكليًّا قبل النص، وهو «صِنْو النص». وللدراسة وظائف محورية تختصُّ بجمع ما تفرَّق، وتفصيل ما أُجمل وتوضيح ما أُبهم، وهي تتَّسع لتعبير المحقق عن فكره.

وينهض درس النص محل التحقيق على رعاية ما يلي:

أ- تحليل النص في ذاته «توثيقًا / ومادة».

ب- وتحليل النص في تجلياته، «خطاب النسخ / والنشرات».

ج- وإضاءة صاحب النص، «ترجمة المؤلف».

د- والخاتمة.

هـ- والتمهيد.

و- والمقدمة.

وقد استعرض المؤلف المحاولات التي سبقته لفحص دراسة النص، من أمثال ما كتبه كل من: برجشتراسر / وعبد السلام هارون / وعبد المجيد دياب/ وعبد الله عسيلان / وإياد الطباع / ورمضان عبد التواب / وفخر الدين قباوة / وخالد فهمي، ويقول عن هذا الأخير «ص٢٦٣»: «ولعل هذه الدراسة هي أطول ما كُتِبَ في موضوعها»، وقد اعتني خالد فهمي بمقدمة التحقيق وفصل عناصرها فيما طرحه من محاضرات في الدورات التأسيسية على امتداد سنوات سابقة مضت.

٦/٠٠ حصاد ينتظر المُرَاكَمَة:

وفي ختام العمل يقرِّر المؤلف «ص٢٨١» قائلًا: «إن الطريق إلى فقه التحقيق ما زال في أوَّله، وإن ما أصبته، ما هو إلا نزر لا يروي... والمُعَوَّل على أهل العلم وشيوخ الصنعة في أن يغدو النزر اليسير بجهدهم كثيرًا، والخطأ بنظرهم صوابًا».

٣/ كتاب «فقه التحقيق»: خطاب المصادر ووظائفها:

كان للطبيعة الخاصة لهذا الكتاب التي تحدَّدت من غايته المُعْلَنَة التي تهدف إلى إعلان استقلال تحقيق النصوص علمًا مستقلًّا له رؤيته ومنهجيته الأثُر البارزُ في خطاب مصادره، ومن ثم خطاب وظائف هذه المصادر. وهو ما نحاول بيانه فيما يلي:

٣/ ١ - خطاب أنواع مصادر كتاب «فقه التحقيق»:

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الدكتور فيصل الحفيان في هذا الكتاب وتوزعت على المجموعات التالية:

أولًا- مجموعة مصادر «تحقيق النصوص» المعاصرة في التقاليد الاستشراقية العربية:

لقد استثمر المؤلف عددًا مُعْتَبرًا من هذه الأدبيات؛ لأمثال: آدم جاسك وبرجشتراسر، وبول ماس، من العدوة القصوى، وبشار عواد معروف، وحسن شافعي، وخالد فهمي، والسعيد السيد عبادة، وعبد السلام هارون، وعبد المجيد دياب، وعبد الهادي الفضيلي، وفخر الدين قباوة، ومحمود مصري، ويحيي الجبوري.

ثانيًا- مجموعة مصادر التاريخ الإسلامي، من مثل: الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ للشمس السخاوي، والمدخل إلى الدراسات التاريخية للانجلو، وسينوبوس، ووفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، وذيل تجارب الأمم للروذراوري، وغيرها.

ثالثًا- مجموعة مصادر علم الحديث، من مثل: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للشمس السخاوي.

رابعًا- مجموعة المصادر من نوع المعجمات اللغوية والاصطلاحية والموسوعات من مثل:

أ-المعجمات اللغوية: أساس البلاغة للزمخشري، وتكملة المعاجم العربية لدوزي، والفروق للعسكري، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، والمحكم لابن سيده، ومقاييس اللغة لابن فارس، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ب-مجموعة المعجمات الاصطلاحية «المختصة»، من مثل:

- تقاليد المخطوط العربي، لآدم جاسك.
- والمرجع في علم المخطوط، لآدم جاسك.
- والتعريفات، للجرجاني.
- وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي.
- ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وكامل المهندس.
- ومعجم مصطلحات الكتاب العربي المخطوط «قاموس كوديكولوجي»، لأحمد شوقي بنين، ومصطفى الطوبي.

خامسًا- مجموعة مصادر علم المخطوط وعلم المكتبات، من مثل:

- الكتاب في العالم الإسلامي، تحرير جورج عطية.
- والمخطوطات، لألفونس دان.
- والمدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، لفرانسوا ديروتي.

سادسًا- مجموعة مصادر اللغة والأدب وعلوم القرآن الكريم، من مثل:

- فقه اللغات السامية، لبروكلمان.
- وأدب الكتاب، للصولي.
- ورسائل الجاحظ.
- وشرح الشافية، لابن الحاجب.
- والمقابسات، لأبي حيان التوحيدي.

٣/ ٢- خطاب وظائف المصادر:

اعتمد الدكتور فيصل الحفيان على هذه المصادر الموزعة على هذه المجموعات لتحقيق الوظائف التالية:

أولًا- الوظيفة البنائية التأسيسية التشييدية لمحاولته «الجديدة» الرامية إلى إعلان تحقيق النصوص **علمًا** مستقلًا.

ثانيًا- الوظيفة التأصيلية / التأثيلية التي تَرُومُ تأصيل المفهومات، وتَأْثِيلها لغويًّا، لتحريرها مفهوميًّا.

ثالثًا- الوظيفة النقدية؛ ذلك أن طموح فيصل الحفيان إلى إعلان تحقيق النصوص علمًا مستقلًا تأَّسس على نقد عدد من الآراء التي انحازت إلى فريق من المشتغلين بالتنظير لتحقيق النصوص قبله.

رابعًا- الوظيفة التأريخية التي رامت استثمار هذه المصادر للتأريخ للظواهر، والمصطلحات والمفهومات وملاحظة تطورها مع الزمان.

خامسًا- الوظيفة البيداجوجية / التربوية التي تطلعت إلى توطين هذا العلم وتسكينه على خرائط البحث العلمي المعاصر في مجال الدراسات التراثية، وهو ما تجلَّى فيما يلي:

أ- الحرص الشديد على التصميم والتنظيم، والتفريع.

ب- الوضوح والشفافية.

ج- التعليل والتفسير والتحليل للآراء.

د- بيان المفهومات، وتحليل التعريف والاستدراك على ما شابه نوع تصور من وجهة نظره.

سادسًا- الوظيفة السياسية أو الوطنية التي تطلعت إلى نمط من الدفاع عن جذور هذا العلم، وتقدير أدبياتها، بالإضافة إلى الحرص على تثبيت المصطلحات الأجنبية من طريق نشر المكافِئات الترجمية العربية لها.

٤/ كتاب «فقه التحقيق»: خطاب المراجعة النقدية

يمثل حضور النقد أحد أهم خصائص معالجة الدكتور فيصل الحفيان للقضية مشغلة هذا الكتاب المهم، وتناغمًا مع هذه السِّمَة العلمية المنهجية المثمرة نقف أمام عدد من الملاحظ النقدية التي تبدَّت لنا من قراءة هذا العمل وفحص سُهمته «الجليلة» في تطوير بحوث علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة.

٤/ ١- خطاب القصور في عدم استيعاب المصادر أو الأدبيات السابقة عليه، ولا سيما تلك التي تماسَّت مع طرحه التجديدي:

وقد تبيَّن في فقرة سابقة أن دعوى عدم وجود أي إشارات إلى التعامل مع تحقيق النصوص بوصفه **علمًا** مستقلًّا غير صحيحة، فقد سبق للدكتور خالد فهمي أن وضع قيد «علم التحقيق» في العنوان العلمي غير التسويقي لكتاب [أنشودة المتن والهامش! نحو إحياء جديد **لعلم** تحقيق النصوص التراثية» [القاهرة، ٢٠١٥م]، بالإضافة إلى حالة الاستثناء التي توقف أمامها وذكرها، المتمثلة في كتاب الدكتور فخر الدين قباوة «علم التحقيق».

وفيما يلي رصد لعدد من الأدبيات النظرية بالغة الأهمية التي لم تظهر في مناقشات الدكتور فيصل الحفيان، ويمكن توزيعها على ثلاثة أنواع:

أولًا- النوع التقليدي الفردي الذي غلب عليه إعادة إنتاج عمل الرواد.

ثانيًا- النوع التجديدي الفردي، الذي تنبَّه لخصوصية النوع والحقل.

ثالثًا- النوع الجمعي / المؤسسي، الذي تنبَّه إلى المناطق المُعتمة، أو الذي تنبه إلى إرادة صناعة تقييس الإجراءات.

وأتوقف بكم أمام ثلاثة أعمال للدكتور خالد فهمي ظهر منها إعلان استقلال علم تحقيق النصوص، علم نقد تحقيق النصوص أو علم تحقيق التحقيق، وهذه الأعمال هي:

أ- كتاب تحقيق النصوص التراثية من منظور الخصوصية [القاهرة، ٢٠١٨م]، يقول «ص٥»: «هذا كتاب رعيت أمره منذ فترة طويلة منذ أن توجهت إلى ضرورة إحياء **علم** تحقيق النصوص التراثية»، ويقول: «لقد تنبهت... إلى أن الأجيال القادمة عليها عبء النهوض بإعادة فحص قواعد هذا **العلم** في ضوء زُمَر من الخصوصيات المطيفة بالنصوص من جهات أنواعها، وأنساقها التأليفية، ومن جهات تنوع حقولها المعرفية».

ب- كتاب دعم خصوصية النوع: دراسات تطبيقية نقدية في تحقيق النصوص التراثية [القاهرة، ٢٠٢٠م]، يقول «ص٧»: «لقد عاهدت الله -سبحانه وتعالى- مُذْ هداني إلى الاشتغال بعلم تحقيق النصوص التراثية في جزء من اشتغالي بخدمة العربية أن أتوجَّه إلى الغاية بأمرين جامعين هما:

- الاجتهاد في محاولة تطوير البحوث النظرية المعتمة من أصول **هذا العلم**.
- العناية بمعاودة فحص قواعد علم تحقيق النصوص التراثية، وأصوله».

ج- كتاب تحقيق التراث والتشغيل الحضاري في الأمة [القاهرة، ٢٠٢٠م] يقول «ص١٩»: «هذا كتاب جديد فيما يفتحه للناس من باب إحياء **علم** تحقيق النصوص التراثية، وعلم تحقيق التحقيق أو نقده»، هذا جانب مما لم يظهر أثره في مصادر كتاب الدكتور فيصل الحفيان.

من جانب آخر لم يظهر أثر منجز المؤسسات التي عُنيت بتقديم **وثائق** ترمي إلى تقييس قواعد التحقيق، أو ارتياد آفاق جديدة ترعى خصوصية النصوص التراثية تبعًا لتنوع الحقول المعرفية.

وأشير هنا إلى سهمة مؤسسة الفرقان في لندن، التي أصدرت للناس عددًا معتبرًا من الأعمال أو الكتب التي توجهت إلى فحص قواعد تحقيق النصوص على خلفية خصوصية الحقول المعرفية، فكان منها ما يختص بتحقيق نصوص الفقه والأصول واللغة والأدب؛... إلخ.

٤/ ٢- الإفراط في التماس وجوه النقد في قراءة الدكتور فيصل الحفيان لمنجز المنظِّرين لقواعد تحقيق النصوص الذين سبقوه.

والحقيقة إن ثمة علامات متوافرة على ظهور «أنماط» لأدبيات هدفت إلى تجديد النظر والقول في قواعد التحقيق وأصوله يمكن تسميتها باتجاهات التأليف التجديدي الجزئية والكلية كما يلي:

أولًا- ظهور اتجاهات تأليف تجديدية جزئية في علم تحقيق النصوص توجهت إلى رعاية:

أ- اتجاه خدمة الأجناس؛ على مستوى التنظير المُرَاعِي لفروق المجالات المعرفية.

ب- اتجاه التنظير المُراعي لفروق أنواع النصوص: شعرًا ونثرًا.

ج- اتجاه خدمة التقنيات على مستوى خدمة ضبط النص، وقراءاته، وتوثيق عنوانه.

ثانيًا- ظهور اتجاهات التأليف التجديدي الكلية في علم تحقيق النصوص التي توجهت إلى رعاية ما يلي:

أ-اتجاه التأليف التأصيلي؛ تجذير العلم.

ب-اتجاه التأليف التنظيمي، وفق منظور الدليل.

ج-اتجاه التأليف التشقيقي الإحيائي وإضاءة العتمات.

د-اتجاه التأليف التقييسي والمعاييري.

هـ- اتجاه المقارنة ورصد التطور.

٤/ ٣- غياب فحص مقاصد علم تحقيق النصوص التراثية، وأتصوَّر أن هذه النقطة بالغة الأهمية؛ لأن حضور خطاب المقاصد يمكنه أن يضبط منهجية العلم، ويضبط أصوله وقواعده.

وتأمُّل جملة المقاصد يكشف عن ظهور أنواع متنوعة من مثل:

أولًا- المقاصد الدينية.

ثانيًا- المقاصد العلمية.

ثالثًا- المقاصد الحضارية.

رابعًا- المقاصد العقلية المقوِّمة لأنماط من الخلل المنتشرة أو الفاشية والشائعة.

خامسًا- المقاصد الخُلُقية.

سادسًا- المقاصد المتعلقة بحفظ الأموال ومنع الهَدْر الاقتصادي في الأمة.

٤/ ٤- ظهور نوع «ترخَّص» في نسبة بعض الآراء والعتبات النصية إلى أصحابها.

٥/ كتاب «فقه التحقيق»: خطاب الموائز:

تكشف القراءة الفاحصة لكتاب «فقه التحقيق» عن تمتُّعه بجملة من السِّمات الإيجابية أو الموائز، التي يمكن إيجاز القول فيها في رءوس الأقلام التالية:

أولًا- الحرص على استيعاب القول في مفاصل علم تحقيق النصوص.

ثانيًا- الحرص على التنظيم والتفريع وتسلسل المسائل.

ثالثًا- ظهور الشفافية الدلالية والوضوح، والحرص على التفهيم وتحرير المفهومات وإظهار الفروق.

رابعًا- التوجُّه إلى اقتراح مصطلحات لسَدِّ عدد من الفجوات المصطلحية، وهو أمر يبدو منطقيًّا في ظل المقترح الأساسي الرامي إلى استقلال علم تحقيق النصوص.

خامسًا- الحرص على تجذير المسائل وتأصيلها تاريخيًّا.

سادسًا- الحرص على المقارنة بين التقاليد الاستشراقية بوصفها الأصل المصدر لقواعد العلم الحديثة، والتقاليد العربية بوصفها المستورد الحديث لهذه القواعد.

خاتمة:

تناول هذا البحث كتاب «فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم» للدكتور فيصل الحفيان «أبو ظبي، ٢٠٢٣م» هادفًا إلى قراءته وتحليل أفكاره، وتقديم رؤية نقدية لأُطُره.

وسعيًا إلى ذلك فقد عالج المطالب التالية:

١- مدخل: لا حدود للتجديد.

٢- بيان معلومات الإصدار.

٣- خطاب المادة والانتماءات المعرفية والقيمة.

٤- تحليل خطاب الأفكار.

٥- تحليل خطاب المصادر: أنواعها ووظائفها.

٦- تحليل خطاب نقد الكتاب.

٧- تحليل خطاب الموائز.

وقد كشفت هذه القراءة النقدية عن جملة النتائج التالية:

أولًا- ظهور أثر الخبرة أو التجربة العملية الممتدة العريقة للمؤلف في ميادين الاشتغال التراثي؛ بحثًا وتدريسًا وإدارة في عمله في هذا الكتاب.

ثانيًا- ظهور وعي المؤلف بحدود غايته المُعلنة المتمثلة في إعلان التحقيق علمًا له فلسفته الموجهة، ومنهجيته الضابطة وقواعد إجراءاته التشغيلية التنفيذية.

ثالثًا- ظهور الوعي النقدي بسهمة الأجيال المنظِّرة لقواعد التحقيق وأصوله وإجراءته قبله.

رابعًا- التمتع بالقدرة التنظيمية للأفكار، وعرضها بتسلسل منهجي مترابط.

خامسًا- إمداد الحقل بحزم من المقترحات المصطلحية، لسد الفجوات المفهوماتية.

***

الفصل الخامس

كتاب الغَرِيبَيْن لأبي عبيد الهروي «ت ٤٠١ هـ»

دراسة في تحقيق التحقيق

كتاب الغَرِيبَيْن لأبي عبيد الهروي «ت ٤٠١هـ»
دراسة في تحقيق التحقيق

٠/ مدخل: تمدُّد الوعي وفعاليته:

١/٠

تأمُّل تاريخ العلم في الحضارة العربية الإسلامية كاشف -بصورة مذهلة- عن توخِّي خدمة الدين، وتأسيس العمران بالأساس. وقد كان الوعي بقيمة الانطلاق من دراسة اللسان أو اللغة بالغ الوضوح، الأمر الذي أنتج تراثًا عريقًا ومتنوعًا في هذا المجال. وقد كانت دراسة لغة الكتاب العزيز، ولغة السنة النبوية المشرفة، ثم لغة الشريعة أمرًا محوريًّا، بالغ الثراء، وبالغ التنوع في الوقت نفسه.

وقد أثمر تمدُّد الوعي بأهمية دراسة اللغة وفعاليته التوجُّهَ إلى خدمة لغة الوَحْيَيْن: الكتاب العزيز، والسنة النبوية الشريفة، فيما عُرف في تاريخ المعجمية باسم معاجم الغَرِيبَيْن. وهو ما فسَّرته سلفًا بالاستجابة الحضارية الذاتية للدوافع الأصولية، فقد كنت نشرت بحثًا بعنوان [معاجم الغَرِيبَيْن في العربية: نشأتها وأشهر مصنفاتها] في [آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، د. خالد فهمي، الدار المغربية، ودار الكلمة، القاهرة، ٢٠٢١م «ص ص ٧٧-٨٢»] قلت فيه: «ص٧٩»:

«ثم ظهرت مجموعة من المعاجم جمعت بين دفتيها ألفاظ القرآن الكريم مع ألفاظ السنة الشريفة، **ونحن نرى في ذلك أثرًا من آثار علم الأصول؛ أي علم**

أصول الفقه، بمعنى أننا نرى أن نشأة معاجم الغَرِيبَيْن في العربية كانت بسبب من النظر إلى أن الكتاب العزيز والسنة المشرفة هما الأصلان الأعليان للتشريع عند المسلمين، ومن ثَمَّ فلا تصح أي عملية استنباطية من غير عناية ببيان ألفاظ هذين المصدرين، ومن هنا جُمعت ألفاظ الذكر الحكيم مضمومة إلى ألفاظ الحديث الشريف؛ خدمة للعمل الأصولي على سبيل التمهيد «المنهجي اللازم»، وكان ظهور هذا النمط التصنيفي في تاريخ المعجمية «العربية» **أثرًا من آثار علم أصول الفقه** الذي أصَّل لحقيقة كون القرآن الكريم والسنة الشريفة مصدرَي التشريع الأساسين المتفق عليهما، ولا شك أن السبيل «الأولى» إلى ذلك إنما يكون ببيان معنى الغامض من ألفاظ هذين المصدرين وهو المراد بالغَرِيبَيْن».

٢/٠

وقد رصد حاجي خليفة في [كشف الظنون، حاجي خليفة، مصورة دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م] «٢/ ١٢٠٩» عددًا من معجمات الغَرِيبَيْن هي:

١- كتاب الغَرِيبَيْن، لأبي عبيد الهروي، «ت ٤٠١هـ».

٢- التنبيه، للسلامي، «ت ٥٥٠هـ».

٣- مختصر الغَرِيبَيْن، لأبي المكارم النحوي، «ت ٥٦١هـ».

٤- المشروع الروي على غَرِيبَي الهروي، لابن عسكر، «ت ٦٣٦هـ».

٥- المجموع المغيث في غَرِيبَي القرآن والحديث، للمديني، «ت ٥٨١هـ».

وزاد صديقي وتلميذي الدكتور هيثم زينهم إلى هذه القائمة:

- [مجمع البحرين ومطلع النيرين، لفخر الدين الطريحي، مكتبة مرتضوي، طهران، إيران، ١٤٠٨هـ].

في رسالته للماجستير ٢٠١٠م عن [معاجم الغَرِيبَيْن في العربية ودراسة لغوية معجمية، للدكتور هيثم زينهم، تقديم د. خالد فهمي، دار النشر للجامعات،

القاهـرة، ط١، ٢٠١٩م]، التـي كانـت باقـتراح منـي، ووفقـه الله في خدمـة الموضـوع بتوسُّـع وجـودة.

وكان الدكتـور السـيد الشرقـاوي «رحمـه الله» اعتنـى بمعاجـم غريـب الحديـث والأثـر، ونـشر رسـالته للدكتـوراه بعنـوان [معاجـم غريـب الحديـث والأثـر، د. السـيد الشرقـاوي، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م]، ولم يـشر إلى التأثـير الأصـولي في نشـأة معجـمات الغَرِيبَـيْن.

٣/٠

وتتأسـس أهميـة كتـاب الغَرِيبَـيْن للهـروي «ت ٤٠١هـ» في أنـه يمثِّـل الاسـتجابة الذاتيـة الحضاريـة لخدمـة لغـة الأصلـيْن الأعليَـيْن، الكتـاب والسـنة، وأنـه يمثـل مثـالًا حيًّـا لتطبيقـات رعايـة منظـور المسـتعمل والتيسـير عليـه باسـتكمال ضبـط منهـج ترتيـب المدرسـة الألفبائيـة المعجميـة الداخليـة، بعـد أن غـبرت زمانًـا أسـيرة العشـوائية منـذ اسـتطاع أبـو عمـرو الشـيباني وضـع معجمـه الجيـم مهتديًـا فيـه إلى الترتيـب الألفبائـي الخارجـي، أي أن كتـاب الغَرِيبَـيْن رفـع الإصر عـن كاهـل مسـتعملي المعجـم العـربي بعـد نحـو قرنـين مـن المتاعـب!

١/ كتـاب الغَرِيبَيْـن: خطـاب النـوع والانتمـاء المعرفـي والقيمـة الحضاريـة:

يتنـاول هـذا المطلـب تحليـل خطـاب النـوع والانتـماءات المعرفيـة والقيمـة الحضاريـة.

١/ ١- خطاب النوع:

يكشـف تحليـل واجهـة المعجـم: «عنوانـه / ومقدمتـه»، ومتنـه ومادتـه عـن تعيين نـوع هـذا العمـل المرجعـي؛ إذ يتضـح لنـا أننـا أمـام:

أولًا- عمل مرجعي معجمي.

ثانيًا- مختص بلغة الكتاب العزيز والسنة الشريفة مما يحتاج إلى تعريف، وهو ما اصطلح عليه باسم الغَرِيبَيْن؛ تثنية للغريب القرآني، والغريب الحديثي.

ثالثًا- أحادي اللغة؛ ذلك أن المداخل والتعليقات التي عليها بلغة واحدة هي اللغة العربية.

رابعًا- ألفبائي؛ أي أن المداخل مرتَّبة ترتيبًا ألفبائيًّا شرقيًّا، خارجيًّا وداخليًّا.

خامسًا- جذري؛ أي أن المداخل مرتبة وفق نظام الجذور roots.

نحن إذن أمام معجم ألفبائي مختص أحادي اللغة.

١/ ٢ خطاب الانتماء المعرفي:

يكشف تحليل مادة المعجم والغايات الحاكمة التي تقف خلفه ومسارات تشغيله، ومستعمليه المتوقعين، عن جملة من الانتماءات المعرفية المتنوعة، وهي كما يلي:

أولًا- الانتماء إلى حقل تفسير القرآن الكريم بوصفه مصدرًا يشرح غريب لغة هذا الكتاب العزيز.

ثانيًا- الانتماء إلى علوم الحديث النبوي الشريف، بما يقدمه من شروح لغريب عدد كثير من أحاديث المصطفى ﷺ.

ثالثًا- الانتماء إلى علم أصول الفقه، بوصفه يقدم شروحًا وتفسيرات لألفاظ القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهما الأصلان الأعليان اللذان عليهما معتمد الاستنباط الشرعي، فهما الدليلان المتفق عليهما بامتياز في قائمة الأدلة الكلية للشريعة.

رابعًا- الانتماء إلى علم الفقه، بوصفه يقدِّم شروحًا لكلمات في آيات بالأساس، وهو ما يعني أنه يخدم **الأدلة التفصيلية** التي عليها المعوَّل في استخراج الأحكام العملية؛ ذلك أن الفقه -كما هو معلوم- المعرفة بالأحكام العملية من **أدلتها التفصيلية، أي الآيات والأحاديث المتعينة.**

خامسًا- الانتماء إلى علم **متن اللغة**، وعلم متن اللغة هو علم اللغة في المفهوم التراثي، وهو العلم بمعاني الألفاظ أو المفردات.

وتأمُّل هذا الانتماء يعكس انتماء هذا العمل المرجعي المعجمي إلى مجال خدمة **اللغة العامة** لما ورد في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من قطاع هذه الألفاظ، وإلى **مجال اللغة** المختصة، التي هي **مصطلحات شرعية** بالأساس بما ورد في الأصلين من مصطلحات عقدية وفقهية وشرعية.

١/ ٣ خطاب القيمة الحضارية:

حاز كتاب الغَرِيبَيْن عدة أمور منحته قيمة علمية وحضارية حقيقية خاصة، وهذه العوامل المانحة قيمته الحضارية هي:

أولًا- أولية الكتاب في باب خدمة معجمية الغريب في الكتاب العزيز والسنة الشريفة، يقول الدكتور الطناحي «ص٢١، المقدمة»: «هذا العمل العظيم يُعَدُّ بحق أول كتاب صُنِّفَ في غريب القرآن الكريم وغريب الحديث الشريف ملتزمًا في دقة الترتيب على حروف الهجاء».

ثانيًا- الاستجابة الذاتية الحضارية لمطالب أصول الفقه والفقه المنهجية، بشرح لغة الدليلين والأصلين الأعليين المتفق عليهما، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مجموعين في مصنف واحد أو عمل مرجعي معجمي واحد.

ثالثًا- الاستجابة الذاتية الحضارية لتطبيقات سمة عامة من سمات الشريعة الغراء، وهي سمة اليُسْر التي انعكست في تطبيقات منهج الترتيب الألفبائي الجذري المشرقي، وهو أول معجم استكمل هذا الترتيب الداخلي؛ أي «هو أول كتاب التزم في دقة طريقة الحرف الأول فالثاني فالثالث من الكلمة، وهو شيء له قيمته في تاريخ المعجمية».

رابعًا- النهوض العملي بواجب التقويم وسد الخلل الحاصل من غياب الترتيب الألفبائي الداخلي بعد ظهور الترتيب الألفبائي الخارجي نفسه على يد أبي عمرو الشيباني في معجمه «الجيم» «ت ٢١٣هـ»؛ إذ جاء كتاب الغَرِيبَيْن للهروي «ت ٤٠١هـ» واستكمل تطبيقات ترتيب المداخل فيه داخليًّا وفق نظام الترتيب الألفبائي الجذري المشرقي، وهو المنهج الذي رأيناه متكاملًا متسقًا هنا في هذا الكتاب على حد تعبير الدكتور محمود الطناحي في مقدمة تحقيق الجزء الأول منه «ص١٤».

خامسًا- صدور حركة ممتدة من التأليف والتصنيف تعالقت معه، يقول الدكتور محمود الطناحي «المقدمة، ص ٣١»: «رُزِقَ كتاب «الغَرِيبَيْن» القبول والذيوع عند الناس، فلم يكد يظهر على أقلام الراوة حتى شُغل به العلماء نقدًا واختصارًا وزيادة وتذييلًا»؛ إسهاما في بناء عدد معتبر من المصادر المختصة بلغة الحديث النبوي الشريف وشرح غريبه.

سادسًا- القرب من زمان الخيرية المتمثل في ثلاثة القرون الأولى.

سابعًا- قيامه باستيعاب من سبقه والزيادة عليهم.

ثامنًا- التنبه المبكر إلى أهمية تحقيقه من جانب المؤسسات والعلماء المعتبرين، فقد بدأ تحقيقه الدكتور محمود الطناحي «ت ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م» «رحمه الله تعالى» ١٩٦٩م، وصدر الجزء الأول من تحقيقه سنة ١٩٧٠م عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر، والطناحي رمز ضخم في هذا المجال. ثم جاء الدكتور عبد الكريم جبل «و ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م» فاستكمل تحقيقه ونشره عن وحدة البحث والدراسات بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، بحكومة دبي سنة ٢٠٢٣م، والدكتور عبد الكريم جبل اسم مرموق جِدًّا في حقل الدراسات اللغوية التراثية الحديثة في مصر والوطن العربي، وصاحب سهمة ممتازة معتبرة في خدمة هذا المجال.

٢/ تحقيق «كتاب الغَرِيبَيْن»: خطاب تحقيق التحقيق:

في هذا المبحث تتناول هذه الدراسة فحص تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن الذي نهض به الدكتور عبد الكريم جبل من منظور تحقيق التحقيق.

٢/ - مفهوم تحقيق التحقيق:

نقد تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة عمل أصيل راسخ أرسى تطبيقاته نَفَرٌ كريم من العلماء المعاصرين، وتعود الممارسات العربية المعاصرة إلى نهايات النصف الأول من القرن العشرين، وتعيينًا ١٩٤٤م؛ إذ نشر الدكتور محمد مندور «ت ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م» نقدًا لتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية لكتاب قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي - بعنوان «حول أصول النشر» في مقالتين، ثم جمعهما في كتابه [في الميزان الجديد، د. محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٨م «ص ص ١٧٢ - ١٨٢»]، ومنذ ذلك التاريخ ودراسات نقد التحقيق مستمرة لم تنقطع.

وقد استعملتُ من نحو أربع سنوات مصطلحًا مرادفًا لنقد تحقيق النصوص التراثية هو «تحقيق التحقيق» على ما جاء في دراستي: «معجمات ابن فارس اللغوية الألفبائية «مجمل اللغة / ومقاييس اللغة»: دراسة في خطاب **تحقيق التحقيق**» التي نُشرت في مجلة علوم المخطوط، بمكتبة الإسكندرية، في عددها الرابع، سنة ٢٠٢١م «ص ص ١-٤٨».

وأقصد بمصطلح تحقيق التحقيق: فحص النصوص الصادرة محقَّقة ونقدها في ضوء ما استقر من قواعد هذا العلم وأصوله؛ سعيًا إلى تقديمها وسد الخلل الذي اعتراها، وتطويرًا لممارسات هذا العلم وتطبيقاته المعاصرة، وتعزيزًا للوعي بأصول العمل في ميدانه. وقد عرف هذا المصطلح طريقه إلى المجال، تقول د. هالة جمال في بحثها [نحو منهج لتحقيق نصوص معجمات التراث العربي: بحث في نقد التحقيق والنقد المعجمي، د. هالة جمال عبد الفتاح علي

القاضي، مجلة بحوث كلية الآداب / السنة «٣٤»، ع «١٣٢»، يناير ٢٠٢٣م «ص ص ٤٦٥-٥١٩»] ص٤٧١: نقد تحقيق النصوص علم مستقل يخدم نصوص التراث العربي ويطور عملية تقديمها، «وثمة مصطلح آخر للدلالة على نقد التحقيق هو «تحقيق التحقيق» سكَّه الدكتور خالد فهمي في كتابه دعم خصوصية النوع: دراسة تطبيقية نقدية في تحقيق النصوص التراثية».

٢/ ١ تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن: خطاب تحقيق التحقيق على مستوى التطبيقات الأسس:

في هذا المطلب نتوقف لفحص مجموعة الأصول الحاكمة وتحليلها للنصوص التراثية مما استقر النظر إليها على أنها هي «أسس التحقيق»، وموقف المحقق الكريم العملي منها:

أولًا- أساس اختيار النص:

إن التوجُّه إلى تحقيق هذا الكتاب «كتاب الغَرِيبَيْن» يمثل تطبيقًا عاليًا للمعايير التي يجب رعايتها عند التلبُّث أمام تطبيق أساس اختيار النص التراثي، ذلك أننا أمام كتاب من **أصول العلم** في مجاله، حائز أولية الموضوع؛ إذ جمع غَرِيبَي الكتاب والسنة، وأولية المنهج، فهو أول معجم رتَّب المداخل فيه داخليًّا ترتيبًا **ألفبائيًّا** دقيقًا يراعي مع الحروف الأوائل الثواني والثوالث، وهو قريب العهد من عصور الخيرية المتمثلة في القرون الثلاثة الهجرية الأولى المُخْبَر عن خيريتها.

غير أن هذا الاختيار مرجعه في الأساس إلى الدكتور محمود الطناحي «رحمه الله» الذي تنبَّه إلى هذا الكتاب وتوجَّه إلى تحقيقه سنة ١٩٦٣م، يقول في مقدمة تحقيق الجزء الذي حققه «ص٢٢»: «وقد عرفت هذا الكتاب النفيس منذ خمس سنوات [تاريخ توقيع هذه المقدمة كان ١٩٦٩م] حين قمت بنشر كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين... ابن الأثير الجزري، المُتَوَفَّى

سنة ٦٠٦هـ، وكان كتاب الغَرِيبَيْن أحد أهم مصادره بإطلاق»، وتاريخ الطبعة الأولى لهذا الكتاب كان سنة ١٩٦٣م، صدرت عن مكتبة عيسى البابي الحلبي.

ثم إن قبول الدكتور عبد الكريم جبل لأمر تكملة التحقيق دالٌّ على وعيه بمنزلة الكتاب وقيمته وأهميته، وبهذا يكون تطبيق أساس اختيار النص جاء على الصورة المُثلى الواعية بمعاييره وضوابطه.

ثانيًا- أساس جمع النسخ وترتيب منازلها:

يكشف تحليل خطاب النسخ المعتمدة في التحقيق عن اعتماد المحققين على مجموعتين من النسخ؛ هما:

أ-**النسخ الخطية الأصلية** للكتاب، وقد جمع الدكتور الطناحي ثلاث نسخ اعتمدها في تحقيقه هي:

- النسخة التيمورية المؤرَّخة بسنة ٦١٩هـ، ورقمها «٥٥ لغة / تيمور».
- نسخة دار الكتب المصرية المؤرَّخة بسنة ٥٢٦هـ، ورقمها «١٦٧ / تفسير».
- نسخة دار الكتب المصرية المؤرَّخة بسنة ٦٢٦ هـ، ورقمها «٢٠ / ش».

وقد جعل النسخة التيمورية أصلًا؛ لأنها في غاية من الجودة والاتقان والتنبه، ولأنها مقروءة ومعارَضة بالأصل المنقول عنه، وبها في بعض المواطن، «استدراك على المؤلف»، ولأجل ذلك قُدِّمَتْ واتخذها أصلًا، وإن كان هناك من النسخ ما هو أقدم منها. وهذا درس عملي راقٍ في ترتيب منازل النُّسَخ، وتقديم معيار الصحة والجودة والإتقان على معيار الأقدمية الذي يهيمن على عقول الكثير شغبًا ودعوى بغير وجه حق.

ب-النسخ الثانوية:

كان من فطنة الدكتور الطناحي -التي تابعه عليها الدكتور عبد الكريم جبل- أن اعتمد على مجموعة يُطْلَق عليها في قواعد العلم اسم النسخ الثانوية، وهذه المصادر التي اعتمد عليها في التحقيق بوصفها نسخًا داعمة هي:

- تهذيب اللغة للأزهري؛ إذ كان الأزهري أستاذًا للهروي، وقد استفاض «كتاب الغَرِيبَيْن» بالرواية عنه والنقل منه «ص٤٣، المقدمة».

- النهاية لابن الأثير، إذ **يُعَدُّ نسخة** أخرى من «الغَرِيبَيْن» من حيث كان أحد المصادر التي صنع منها ابن الأثير كتابه.

- التنبيه، لابن ناصر السلامي للإفادة منه فيما تعقَّب فيه المصنف الهروي.

وهذا الذي صنعه المحققان تطبيق عالٍ لقواعد جمع النسخ قلما يتنبه إليها المشتغلون في المجال.

وقد أضاف الدكتور عبد الكريم جبل إلى خطاب جمع النسخ الاعتماد على ما يلي:

١- النسخ الخطية «الأصلية»؛ فقد اعتمد بجانب ما سبق على أربع نسخ كوامل، هي:

- نسخة أسعد أفندي، ورقمها «١١٠».

- نسخة مكتبة فاتح، ورقمها «٢٩١، ٢٩٢».

- نسخة مكتبة شهيد علي باشا، ورقمها «١٣٢».

- نسخة مكتبة راغب باشا، ورقمها «١٤٢٢».

وهذه الأربعة من رواية الماليني

واعتمد على نسختين أخريين كاملتين من رواية الصابوني والمليجي، هما:

- نسخة مكتبة شهيد علي، رقمها «١٣١».

- نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق «مكتبة الأسد الوطنية فيما بعد»، ورقمها «٦٨٩»، واعتمد على ثلاث نسخ أخرى كوامل غير معلومة الرواة، وهي: نسخة نور عثمانية / وقونيا / وعاطف أفندي.

- واعتمد على تسع نسخ أخرى غير مكتملة «انظر حديثه عنها في مقدمة كتاب الغَرِيبَيْن الكامل، ١/ ٢٨-٤٧».

وقرر أن اعتماده وتعديله عند اشتجار الخلاف على ثلاث نسخ، هي:

- نسخة أسعد أفندي / ونسحة عاطف أفندي/ ونسخة قونيا.

ب-النسخ الثانوية، وقد أضاف د. جبل إلى ما اعتمده د. الطناحي في خطاب المصادر الثانوية ما يلي:

- إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، لابن قتيبة «ت ٢٧٦هـ»؛ لأنه سابق على الغَرِيبَيْن، وهو مظنَّة رجوع الهروي إليه واعتماده عليه.

- غريب القرآن، لابن عزيز السجستاني «ت ٣٣٠هـ»؛ لأنه سابق على الغَرِيبَيْن أيضًا.

وقد ظهر في المدة الواقعة بين صدور الجزء الأول من التحقيق -وهي المدة الممتدة من سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م إلى ١٤٤٥هـ = ٢٠٢٣م- عدد معتبر من المصادر التي يصح إدراجها ضمن ما يُعرف هنا بالنسخ الثانوية، من مثل ما يلي:

أ- مجموعات كتاب غريب القرآن الكريم المستقلة التي اعتمدت على الغَرِيبَيْن في بنائها.

ب- مجموعات كتب غريب الحديث النبوي الشريف المستقلة التي اعتمدت على الغَرِيبَيْن في بنائها.

ج- مجموعات كتب الغَرِيبَيْن التي جاءت بعد الغَرِيبَيْن.

د- مجموعات الكتب المُتَعَالِقَة مع كتاب الغَرِيبَيْن للهروي على وجه التعيين، وهذا التَّعَالُق أخذ صورًا تصحيحية استدراكية في الغالب.

ومما كان يلزم جمعه لتحقيق كتاب الغَرِيبَيْن ما يتوزع على هذه المجموعات الأربعة بوصف الأجزاء أو النصوص المنقولة فيها من كتاب الهروي بمنزلة النسخ التي يلزم مراجعة ما يكافئها في كتاب الغَرِيبَيْن عليها، ولا شك أن قِدَمَ هذه المصادر أو النسخ الثانوية يمكن أن يقدِّم قراءات جيدة تسهم في تصحيح ما عساه يحتاج إلى تصحيح، أو توثيق هذه النصوص على أقل تقدير، ومن هذه المصادر التراثية التي تنزل منزلة النسخ الثانوية ما يلي:

- الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، للسيوطي، مطبوع به من النهاية غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المطبعة الخيرية، بالقاهرة، ١٣٢٢هـ.

يقول السيوطي في مقدمة [التذييل والتذنيب على نهاية الغريب، للسيوطي، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م] «ص٣٣»: «إن النهاية في غريب الحديث للإمام ابن الأثير أجلُّ كتاب أُلِّفَ في الغريب وأجمعه للبعيد منه والقريب، وقد **فاته** جمع جم يحتاج إليه الطالب، ويفتقر إلى تتبعه كل راغب، وقد **لخصت كتابه** في مجلد في غاية التنقيح والتهذيب وضممت إليه **زوائد** قربتها **أحسن تقريب**، ثم بدا لي أن أفرد ما فاته بتأليف ينتفع به من عنده النهاية وها هو ذا، وقد سميته التذييل والتذنيب على نهاية الغريب».

- [الكفاية في نظم النهاية، لابن بردس الحنبلي، «ت ٧٨٦هـ»، علم لإحياء التراث والخدمات الرقمية، القاهرة ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م]، وهو نظم لكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، وقد سبق أن عرفنا أن النهاية اعتمد على الغَرِيبَيْن اعتمادًا مستوعبًا مادته في بنائه.

- [غريب الحديث، لابن الجوزي، «ت ٥٩٧هـ»، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، ١٩٨٥م] وهو اختصار لما عند الهروي.

- [مجمع البحرين ومطلع النيرين، لفخر الدين الطريحي، «ت ٩٧٩هـ»، مكتبة مرتضوي، طهران، إيران، ١٤٠٨هـ].

- [تقذية ما يتقذى العين من هفوات الغَرِيبَيْن، للمديني، «ت ٥٨١هـ»، تحقيق د. أحمد رجب أبو سالم، علم لإحياء التراث والخدمات الرقمية، القاهرة، ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م].

وغاية هذا الكتاب تصحيح ما فرط من الهروي في الغَرِيبَيْن، يقول المديني «ص١١١»: «وهذا الكتاب المشار إليه [يقصد كتاب الغَرِيبَيْن] كتاب إمام اتَّخَذوه دستورًا يُعتمد عليه... ويُحتج بما فيه، فلم أستجز إهالة هذه الأشياء التي ذكرتها فيه [من تحريف للألفاظ المنقولة؛ وتبديل لكلمات، أشياء فُسِّرَتْ على غير ما هي به، وألفاظ أُخِلَّ بلفظها فاختل معناها، وفيه غير ذلك من خلل وقع في اسم أو إسناد] فجمعت تلك الألفاظ وما تبيَّن لي صوابه من ذلك... ليصير الكتاب مهذبًا منقحًا يصلح لأن يُعتمد عليه، ويستند إليه».

وكما نرى فإن أهمية هذه الكتاب تتجاوز وظيفتها حدودَ التوثيق وتعزيز التخريج على تصحيح **نصوص** كتاب الغَرِيبَيْن، وضبطها، واستثمارها في التعليق عليها.

ثالثًا- أساس إجراءات الانتساخ والمقابلة وإثبات فروق النسخ الخطية **المعتمدة في تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن:**

يُعَدُّ النسخ أول عمليات التحقيق النهائية على حد تعبير الفيلولوجي الألماني كارل لخمان، والنسخ الطريق المشرعة لتلقي النص من جانب مستعمليه، وهو الدلالة على حسن قراءة المحقق للنص مشغلة التحقيق ودرجته من عدمه. وفيما يلي العلم والعمليات التي طُبقت في تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن:

أ-تحليل خطاب الانتساخ:

قرر الدكتور جبل أنه اعتمد على نسخ الدكتور محمود الطناحي للكتاب كله، يقول «١/ ١١»: تمثل جهد العلامة الطناحي في التحقيق في... نسخ الكتاب كله من واقع النسخة التي اتخذت أصلًا» وهي نسخة دار الكتب المصرية برواية أبي سعد الماليني «رقم ٥٥ / لغة تيمور».

وتحليل عمل الدكتور الطناحي ومن بعده الدكتور جبل كاشف عما يلي:

- إتقان رسم الحروف وتمايزها ووضوحها بصورة ممتازة شديدة المقروئية، مع ملاحظة أن الدكتور جبل طوَّر رسم عدد من الحروف التي كانت محل لبس قليل في طبعة الجزء الذي صدر في حياة الدكتور الطناحي؛ إذ تحوَّل في النسخ فرسم الياء بنقطتين سفليتين، أو بالياء الشامية، تفرقة لها عن الألف المقصورة، وهذا تطبيق جيد لمعيار التيسير في مجال المقروئية، [انظر مثلًا «١/ ٧» الطناحي: ابن **اليريدي**» ١/ ١١٧ جبل: ابن **اليزيدي**»].

- تطبيق منهج الضبط الوسط؛ أي أنهما اختارا وضبطا النص أو تشكيله طريقة وسطًا بين الإهمال والضبط التام، وهذه الطريقة أعلى من طريقة ضبط ما يُشْكِلُ، وقد لوحظ في الغالب:

- توسُّع الدكتور جبل في الضبط عما كان عليه الأمر في الجزء الذي ظهر في حياة الدكتور الطناحي، وتأمل الفقرة الأولى من كتاب الهمزة كاشف عما أقرره، فلم يضبط الدكتور الطناحي غير الفعل «جعلت» بالبناء للمجهول وهو مما يُشكل ضبطه في الكتابة العربية بإجماع، لكن الدكتور جبل توسَّع فضبط كل كلمات السطور الأربعة أو الفقرة الأولى ضبطًا غطى جغرافية الأبنية والإعراب بصورة شبه تامة.

- العناية بترقيم النص ترقيمًا تعبيريًّا، مع قدر من التوسع أدخله الدكتور جبل.

والحقيقة إن منهج الدكتور الطناحي في توظيف الترقيم التعبيري جاء بالغ الجودة، يكشف عن وعي ممتاز بما يؤدي الترقيم التعبيري من خدمة جليلة لقراءة النص وفهمه من جانب متلقيه ومستعمليه.

ولعل أظهر ما أضافه الدكتور جبل إلى الترقيم التعبيري في النص هو استعمال الحاصرتين تبيينًا للكلام المعترض، من أمثلة ذلك:

[١/ ٧ الطناحي: «ليس القانع بالعلقة، وهي البلغة كالذي لا يقنع إلا بآنق الأشياء، أي أعجبها ١/ ٢٦١ جبل: «ليس القانع بالعلقة -وهي البلغة- كالذي لا يقنع إلا بآنق الأشياء؛ أي: بأعجبها»].

ومقارنة النصين كاشف عن زيادة حاصرتين وضع بينهما جملة وهي البلغة، وزيادة فاصلة منقوطة قبل أي، ونقطتين متعاقدتين بعدها عند تفسير: «بآنق الأشياء» وهذا التوسع محمود جِدًّا منه.

ومن التوسع في الترقيم التعبيري استعماله في الشعر أحيانًا «انظر ٧/ ٢٥»، والذي عليه الاستقرار عدم ترقيم الشعر تعبيريًّا «الاتساع البياني».

ب- تحليل خطاب المقابلة وإثبات فروق النسخ

يقرر الدكتور جبل «١/ ١١» أن الدكتور الطناحي نهض «بالمقابلة الكاملة على نسخة دار الكتب المصرية «د»، ومقابلة الأحرف الخمسة الأولى عليها، وعلى نسخة مكتبة تشستربيتي «خ»».

قرر الدكتور جبل في السياق نفسه «١/ ٢» أنه نهض «بالمقابلة على النسخ المخطوطة للكتاب مما اختاره العلامة الطناحي ومن غيرها».

وقد تميز عمل الدكتور جبل في المقابلة بما يلي:

- الأمانة الظاهرة؛ إذ وثق نسبة فروق النسخ التي نهض بها الطناحي ولم تخرج في الجزء الأول الذي طبع في حياته، ومن ذلك الزيادة التي زادها في المتن قبل إيراد بيت [المتقارب]: «١/ ١١٨»:

- فأنزلت ماءً من المعصرات / فأنبت أبًّا وغلب الشجر. ففي جزء الطناحي «١/ ٧: وأنشد» / وفي طبعة جبل: «وأنشد [لأمية] ثم علق في الهامش رقم «٤» قائلًا: «من «خ» [طناحي]»، وغير ذلك كثير.

- الدقة الواعية بما يصلح لإيراده في المتن، وهو أمر مهم لمن يتَّبع منهج النص المختار عند التحقيق، كما رأينا في المثال السابق، حيث أورد عبارة «لأمية» في المتن؛ لأنها زيادة مهمة.

والواضح من تطبيقات العمل في المقابلة وإثبات فروق النسخ أن المحققين الكريمين اتبعا منهج التقاليد العربية المعاصرة في هذا الباب، بمعنى أنهما لم يفرطا في إثبات فروق النسخ على ما هو شائع في عمل المستشرقين في التقاليد الاستشراقية المعاصرة؛ وإنما اعتنيا بالأساس بالفروق التي قد ينبني عليها نوع تأثير في النص.

- الحرص على التعليل عند إثبات عدد من فروق النسخ، وهو أمر يتجاوز حدود المقابلة الآلية أو الخرساء إلى نوع من استثمار المعالجة ومن ذلك: «٥/ ١٣٥» في تفسير التلبينة بأنها: الحسو، ضبطها بفتح الحاء المهملة وتشديد الواو، ثم قال في «هـ ٢» في: «د» بفتح الحاء المهملة: «وهو سهو في الضبط»! والكلمة بمعنى الحساء وانظر [٥/ ١٧ هـ ٧] حيث قال «وأثبت ما في «د» وهو الصواب» و٥/ ٣٣٢ «هـ ٤» حيث قال: ««أثبت ما في «د» وهو الأولى»]، والحقيقة أن ما قرره الدكتور جبل تأسس على رعاية المعنى والسياق، وهو على حق فيه.

وثمة مواضع تحتاج إلى نوع من المناقشة، فربما أسفرت عن غير ما قرره الدكتور جبل بشأن إثبات فروق النسخ، ومن ذلك:

- «٥/ ١٧٥» ورد في المتن: «الصبابة: البقية اليسيرة تبقي في الإناء»، ثم قرر في «هـ ٢» قائلا: «زاد في «د»: من الشراب» والحقيقة أن هذه الزيادة الواردة من «د» الأَوْلَى بها أن تلحق بالمتن؛ لأن البقية التي تبقى في الإناء قد تكون من نوع الشراب، وقد تكون من نوع **الكدر** الذي ليس من الشراب.

- «٥/ ٣١٥» ورد في المتن: «ومن ذلك سميت الضرة لمضادتها» وعلَّق في «هـ ١»: «[في «د» لمضارتها بالراء»، وأظن أن المطرح في الهامش هو الأولى والأظهر،

بتحكيم قاعدة تعليل التسمية؛ ذلك أن الضرة من النظر إلى الضُّرِّ الذي تجلبه المرأة للمرأة في هذه الحالة من الزواج عليها.

- «٧/ ١٥٧» ورد في المتن: «اللهم اجعله لنا فَرَطًا؛ أي: أجرًا متقدمًا»، وعلَّق في «هـ ٣»: [في «د» أي: أجرًا يتقدمنا]، والظاهر أن هذا المطرح في الهامش هو الأولى إثباته في المتن؛ لأنه أقرب لأسلوب أبي عبيد والسياق؛ فقد فسَّر بدوره حديث «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» فقال: «أنا أتقدَّمكم إليه»؛ أي أن تفسير الاسم بالفعل يناسب مقام الدعاء.

رابعًا- أساس معالجة النص: تخريجًا وتعليقًا وتوثيقًا:

٠/ مفهوم المعالجة:

تُعَدُّ معالجة النص في التحقيق هي المركز أو العصب الذي يدور حوله مفهوم التحقيق أو النشر النقدي للنصوص، وهي جملة العمليات التي تهدف إلى أداء النص التراثي على وفاق مراد صاحبه على جهة المطابقة أو قريبًا من المطابقة، أو هي جملة العمليات التي تهدف إلى استعادة الصورة التاريخية للنص التراثي التي تركها عليها مؤلفه بالدلائل والقرائن والشواهد.

وتضم معالجة النص خدمة ما يلي:

أ- إقامة الدليل على صحة قراءة النص وأنه صحيح مطابق لمراد المؤلف، وهي المسألة التي تتجلى في إنجاز النسخ السليم، والضبط الصحيح، وتوظيف علامات الترقيم التعبيري بوصفها جزءًا من فهم المعنى من المحقق، وسبيلًا لإعانة المستعمل التحقيق وقارئه على الفهم والتحصيل، وتعليل المُطَّرَح من فروق النسخ في الهوامش بناءً على ظهور التصحيفات والتحريفات والأخطاء، أو بُعد هذا المُطَّرَح في الهوامش بقرار المحقق عن شخصية أسلوب المؤلف تلك التي حصَّلها المحقق من خبرته ومعايشته لكلام المؤلف، وهو الناتج الطبيعي لمبدأ **التمرُّس** بأسلوب المؤلف، بوصفه تحصيلًا لدراسة متأنية للغة

المؤلف ومعجمه ولوازمه التعبيرية وسَمْتِه في بناء تراكيبه. وقد توقفت هذه المراجعة العلمية أمام هذا العنصر في المطلب السابق هنا، وهو المطلب «ثالثًا».

ب- العناية بتخريج النصوص؛ والمقصود بالنصوص هنا هو ما ينقله المؤلف من كلام غيره، والتخريج مصطلح بالغ الخطر في إستراتيجيات معالجة النص عند التحقيق؛ لأنه طريق بناء الثقة في مادة المعلومات التي يتحرك بها النص.

ج- العناية بالتعليق على النصوص، والمقصود بالنصوص هنا هي حر كلام المؤلف مما ليس منقولًا من غيره.

د- العناية بالتوثيق وذكر المصادر عند النهوض بالتخريج أو التعليق، وهذا الإجراء هو الشرط المنهجي اللازم لصناعة الثقة والموثوقية معًا في المعالجة.

١/ العناية بتخريج النصوص:

تحليل عناية محققي كتاب «الغَرِيبَيْن» بتخريج النصوص التي نقلها أبو عبيد الهروي فيه يكشف عن وجود مشترك في طريقة كلٍّ منهما من جانب، وعن فروق ظاهرة بين طريقة كل منهما من جانب آخر.

وقد حاول لاحقًا الدكتور جبل صناعة نمط من التنسيق والتوفيق ليظهر أمر التخريج في الكتاب كله بصورة واحدة أو يجرى فيه مياه واحدة، ويصبغه نفس واحد. وفيما يلي محاولة لرصد مجمل ملامح منهج الدكتور جبل في معالجة نص كتاب الغَرِيبَيْن عند تحقيقه:

أولًا- توظيف تطبيقات منهج النص المختار، وذلك ترجمة لغياب النسخة الأصلية أو الأم التي هي بخط المؤلف أبي عبيد الهروي.

وعلى الرغم من تقديم نسخة معيَّنة هي النسخة التيمورية لتكون أصلًا؛ نظرًا لما حازته -مقارنة بغيرها- من شروط التقديم والاعتبار والمنزلة من **التمام والصحة**، فإنه كثيرًا ما خالفها لصالح ما جاء في غيرها، وهذا انتصار لمبدأ

أصيل في تطبيقات منهج النص المختار، وهو تقديم ما كان أقرب لأسلوب المؤلف وسَمْته ورُوحه.

ثانيًا- التوسع في تخريج الأحاديث من المصادر انتصارًا لقاعدة الاستقصاء في التخريج، وهو المنهج الذي كان يسير عليه الدكتور الطناحي في أعماله التي حقَّقها في بدايات اشتغاله العلمي بالتحقيق ولمدة طويلة. ولكن الدكتور الطناحي -فيما طبع من تحقيقه لكتاب الغَرِيبَيْن، وهو الجزء الأول- لم يطبِّق منهج الاستقصاء في التخريج.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما فعله الدكتور جبل في تخريج حديث «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا» [٧/ ٧]، قال [هـ ١] «الحديث وشرحه ورد في التهذيب [١٦/ ١٠٨-١١٢]... وغريب الحربي [٢/ ٦٠] ومجمع الغرائب [٤/ ١٩] والفائق [٣/ ٤٦] والنهاية [٣/ ٣٣٦؛ ٧/ ٢٩٦٣] «طبعة د. الخراط» وابن حبان في صحيحه [برقم ٧٢٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [برقم ٣٥٣٥]».

وفحص منهج تخريج الأحاديث في هذا التحقيق يكشف عن مسألة مهمة ومنهجية تتمثل في:

أ- تخريج الأحاديث من مصادر الغَرِيبَيْن التي اعتمدها الهروي عند بناء كتابه هذا، وهي معجم التهذيب للأزهري على وجه التعيين.

ب- تخريج الأحاديث من المصادر التي اعتمدت في بنائها على الغَرِيبَيْن، ولا سيما كتاب غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

ج- جملة من مصادر غريب الحديث والمدونات الحديثية.

ويلحظ على منهجية التخريج في هذا التحقيق ما يلي: غياب التخريج من بعض المصادر التي تفرغت لشرح الغَرِيبَيْن من مثل كتاب الطريحي مجمع البحرين.

ثالثًا-عدم التوسع في تخريج الأشعار، والتوقف عند حدود المصادر المركزية من الدواوين أو المجموعات الشعرية فقط:

ومن ذلك تخريجه لبيت رؤبة [٧/ ٢٧٠]: «قلت وقولي عندهم مقتوت».

قرَّر [هـ ٩ «٧/ ٢٦٩-٢٧٠] قائلًا: «في ديوانه بشرح عالم لغوي قديم، ٢/ ال٨٨».

وهو في هذا موافق لمنهجية الدكتور الطناحي في تخريج الأشعار في الجزء الأول الذي صدر بتحقيقه لهذا الكتاب.

رابعًا- الإكثار من النقل والشروح في الهوامش بغير مُسَوِّغٍ، ومن ذلك أنه ذكر ما قبل هذا البيت وما بعده [ثلاثة أبيات] ثم نقل شروحها.

خامسًا- عرض مادة ما علَّق عليه ابن ناصر السلامي في التنبيه وأبو موسي المديني في: تقذية ما يقذي العين من هفوات كتاب الغَرِيبَيْن مما رآه العالمان محتاجًا إلى تصحيح في كتاب الغَرِيبَيْن، وهذه مسألة منهجية بالغة الأهمية.

٢/ العناية بالتعليق على نصوص المتن:

أولًا- حضور التعليق بصورة واضحة على كثير من الأمور التي تحتاج إلى تعليق، وقد توزعت التعليقات على المسائل التالية:

أ- شروح الألفاظ الغريبة، من مثل شرحه للفظ النغف [٧/ ١٤٥، هـ ٥] يقول: «النغف: الدود يكون في أنوف الإبل والغنم» [اللسان «ن غ ف»]، وقد كان الأولى توثيق ذلك الشرح من كتب الإبل والشاء في تراث العربية وأبوابها في المعاجم الموضوعية.

ب- التعليق بتصحيح ما يرد في المتن من الخطأ والسهو في الهوامش، من مثل [٧/ ٢٧٣ هـ ٨] تعليقًا على ما قرَّره الهروي من أمر نسبة بيت شعر للأخطل، قال الدكتور جبل: «الأخطل» هكذا في الأصل والنسخ وهو سهو

والبيت للحطيئة لا الأخطل، وهو وراد في ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت [تحقيق د. نعمان محمد طه، ص٢٧١].

ثانيًا- التعليق بذكر الروايات المختلفة للشاهد الشعري، والمستقر في التحقيق والأعمال المعجمية الإشارة لاختلاف الروايات في محل الاستشهاد فقط، لا كل اختلافات الرواية ما لم يكن المُحَقَّقُ نَصًّا شعريًّا؛ أي ديوانًا أو قصيدة، وهو ما لم يتبعه الدكتور جبل، يُنظر: [٧/ ٢٧٣، هـ٨].

ثالثًا- نسبة النصوص المستشهد بها وعزوها إلى أصحابها إذا جاءت غير منسوبة في النص، وخصوصًا نصوص القراءات والشعر وكلام العلماء وآراءهم، [انظر ٧/ ٢٧٢، هـ٧] قال: «هذا من كلام الفراء في كتابه معاني القرآن ١/ ٢٩٤» تعليقًا على القول في تفسير ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [سورة النساء ٤/ ١٥٧]؛ أي: ما قتلوا علمهم يقينًا». و[يُنظر ٧/ ٢٧٣، هـ٧] قال: «وتُعزى هذه القراءة إلى حمزة والكسائي وخلف «النشر ٣/ ٥١١ والإتحاف ص٥٥] تعليقًا على قراءة ﴿فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٩١].

رابعًا- ترك عدد من النصوص المنسوبة في المتن بغير تخريج من مثل [٧/ ٢٧٣] «قال **ابن عرفة**: أي قتلوا منكم»، **وهو** نفطويه.

وكتاب في غريب القرآن الكريم مجموع، ومنه نقول كثيرة جِدًّا في كتب القوم القدماء.

خامسًا- التعليق بذكر تكملات الشواهد الشعرية في الهوامش، وهو أمر فيه تَزَيُّد يتجاوز حدود عمل المحقق، ولا سيما إذا لم يكن مؤثِّرًا في إضاءة مجمل الاستشهاد، ومن ذلك [٩/ ١٨١، هـ٦] يقول تعليقًا على قول كتاب الغَرِيبَيْن:

«وفي الحديث في بعض أراجيز أصحابه: لكن غذاها حنظل ونقيف».

«[هو سيدنا كعب بن مالك الأنصاري، والرجز في ديوانه «بتحقيق سامي مكي العاني، ص٢٣٣» وفيه: لكن غذاها الحنظل النقيف، وقبله بالديوان: لم يغذها مدٌّ ولا نصيف. وهو يردُّ على «سلمة بن الأكوع» في رجز أنشده يعرِّض فيه بالأنصار]»، وكل ذلك خارج حدود مفهوم التحقيق وتطبيقاته.

٣/ توثيق التخريجات والتعليقات:

إن جزءًا من مفهوم التحقيق أو النشر النقدي يقوم على ذِكر المصادر والمراجع التي تدعم التخريجات والتعليقات وتوثقها، ومن ثَمَّ كان التوثيق جزءًا أصيلًا من ماهية معالجة النصوص على مستويات التخريج والتعليق. وقد اتسمت منهجية تعامل الدكتور جبل مع توثيق التخريجات والتعليقات بجملة من الملامح يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا- غياب تطبيقات معيار التيسير في ضبط صياغة التوثيقات، وهو الأمر الذي تجلى فيما يلي:

أ-الاكتفاء بالتخريج من المعجمات اللغوية بذكر الجذر اللغوي فقط من دون المؤشر المكاني أو الموضع في أحيان، وهو أمر ضد مبدأ التيسير الذي تفرضه تطبيقات منظور رعاية المستعمل.

والحقيقة أن صياغة التوثيق فيما يتعلق بتوثيق التخريج من المعجمات من دون ذكر أرقام الصفحات يجهد المستعمل جِدًّا ويهدر وقته؛ نظرًا لأن معالجات المعجمات للمداخل قد تتَّسم عامة بالطول وتستغرق مساحات ممتدة.

وهذا التعامل مطرد من جانب الدكتور جبل في أمر التوثيق من المعجمات اللغوية، ومعجمات غريب الحديث، ومعجمات غريب القرآن ومعجمات الغَرِيبَيْن؛ يقول في تخريج معنى «صفة السرج»؛ أو ما يضم العرقوتين من أعلى السرج وأسفله: [٩/ ٢٤٦، هـ ٢] «في اللسان «ص ف ف»... وفي التاج «ب د د» من دون ذكر لأرقام الصفحات التي ورد فيها الشرح وأحال عليها، وللعلم

فقد استغرقت معالجة المادتين «ص ف ف» و«ب د د» في المعجمين عدة صفحات، ما يترتب عليه إرهاق المستعمل والتعسير عليه؛ إذ استغرقت معالجة المادة في اللسان [صادر «ص ف ف» ١٩٤-١٩٦] وفي التاج [الكويت «ب د د» ٧/ ٤٠٤-٤١٢].

ب- الاكتفاء بالتوثيق من عدد من المعجمات اللغوية ومعجمات الغريب القرآني الحديثي بذكر المؤشرات المكانية من دون الإشارة إلى الجذور اللغوية؛ [انظر ٩/ ١٨٦، هـ ٥]، يقول في توثيق تخريج حديث «نكب عنا»: «[في التهذيب «١٠/ ٢٦٨»]»، هكذا من دون ذكر المادة اللغوية، وانظر كذلك [٩/ ١٨٦، هـ ٦ / ٩ / ٣٦٤].

ج- استعمال طريقة التوثيق بالإحالة على المرجع السابق من دون ذكر المؤشر المكاني مع ما في ذلك من عدم تيسير، ولا سيما إذا طالت المسافة بين المرتين، يُنظر [٩/ ٣٦٤، هـ ٤] قال «زاد في النهاية في الموضع السابق هكذا»، والموضع السابق هذا قبله بخمسة سطور، وعدم ذكر المؤشر المكاني «٤/ ٢٤٦» يساوي في المساحة كلمتي: المرجع السابق، ما يعني أنه لم يؤثِّر في المساحة، وعسَّر نسبيًّا على المستعمل.

د- غياب النص على مصادر بعض التعليقات أو مراجعها، بمعنى إيراد معلومات في الهوامش بهدف التعليق على بعض معلومات المتن وإضاءتها للمستعملين من دون ذِكر للمراجع التي توثِّق ذلك، ما يفوِّت تحقيق الوظيفة المعرفية لمن يروم الاستزادة، وينال من تحقيق وظيفة الثقة لدى المستعملين، ويهز بشكل ما مبدأ الموثوقية؛ يُنظر [٩/ ١٢، هـ ٣] قال: «وأم عطية»: «صحابية فقهية «ت ٧٠هـ»، وهي نسيبة بنت الحارث الأنصارية»، أم عطية الأنصارية -كما قرَّر الدكتور جبل- صحابية فقهية حدَّثت عن رسول الله ﷺ، وأخرج لها الإمامان في الصحيحين [انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد

البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، «قسم النساء ٤/ ١٩٤٧»؛ والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ترجمة رقم «١٤١٦»، قسم النساء «٤/ ٤٧٧» دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٢٨هـ].

٤/ الموقف من التعليق على معلومات التراكيب وتخريجها:

من المعلوم أن مفهوم الغريب يتسع للعناية ببعض معلومات التراكيب أو النحو، وهو ما كان يفرض الاعتماد على مصادر أعاريب القرآن الكريم والحديث النبوي، ومكتبتهما عريقة وغنية في التراث العربي. ولم يراجع الدكتور جبل ما ورد في كتاب الغَرِيبَيْن مما يتعلق بمعلومات التراكيب على أيٍّ من مصادر إعراب القرآن الكريم وإعراب الحديث النبوي الشريف.

ومكتبة إعراب القرآن والحديث كبيرة متنوعة المناهج، وموزعة على عصور ممتدة، منها في إعراب القرآن وحَلِّ مشكل تراكيبه:

- معاني القرآن وإعرابه، للنحاس.
- وجواهر القرآن، للباقولي.
- والدر المصون، للسمين الحلبي.
- وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك.
- وإعراب القراءات الشواذ للعكبري.

ومنها في إعراب الحديث:

- إعراب الحديث للعكبري.
- وعقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي للسيوطي.

٥/ دعوى عدم وجود نقول كتاب الغَرِيبَيْن في المطبوع من مصادرها عند التخريج:

قرر الدكتور جبل في بعض المواضع من هوامش التخريج أنه لم يجد ما نقله الهروي في كتابه الغَرِيبَيْن في المصادر التي ادعى أنه نقل منها، يقول تعليقًا على ما نقله الهروي من التهذيب من أمر تعريف اسم الله تعالى «الواسع»: «[قال الأزهري؛ أي وسع كل شيء رحمتك وعلمك]».

والحقيقة أن أبا منصور الأزهري يقول في التهذيب في مفتتح معالجة مادة «و س ع» [٣/ ٩٥]: «الواسع من صفات الله تعالى: الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء»!

وفي التهذيب [٣/ ٩٦]: «وقال وسعت رحمة الله كل شيء».

وفي التهذيب «ر ح م» [٥/ ٥٠]: «قال رحمة الله وسعت كل شيء».

ولم يتكلم الأزهري عن الآية في [معاني القراءات للأزهري، تحقيق د. عيد مصطفى درويش، وعوض حمد القوزي، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٣هـ = ١٩٩١م] «٢/ ٣٤٣».

٦/ غياب توثيق التعليقات والتخريجات من المصادر الأصيلة والتحول إلى المصادر الثانوية بغير مسوغ:

من المبادئ المستقرة في التخريج والتعليق العودة إلى المصادر الأصيلة وثيقة الاتصال بمادة ما يخرجه المحقق أو يعلق عليه. والحقيقة أن تطبيقات هذا المعيار جاءت بصورة لا بأس بها في المجمل، ولكن ثمة قطاع كبير من التخريجات والتعليقات بصورة خاصة وثَّقها المحقق الدكتور جبل من **مصادر ثانوية** مع وجود مصادر أصيلة متصل اتصالًا مباشرًا ووثيقًا بمادة المعلومات محل التعليق أو ذاك.

ومن الأمثلة الدالة على ما نقرِّره هنا ما يلي:

أ- التعليق الوارد في [٩/ ٢٤٦، هـ ٢] الذي عرَّف فيه المحقق معنى «صفة السرج» بضم الصاد المهملة وتشديد الفاء المفتوحة وهي: ما يضم العرقوتين من أعلى السرج وأسفله. وثَّقه المحقق من لسان العرب «ص ق ف» وتاج العروس «ب د د». والأَوْلَى من ذلك كله توثيق تعريف صفة السرج من كتاب [صفة السرج واللجام، لابن دريد الأزدي، تحقيق د. مناف مهدي محمد، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م] «ص ٨٥».

ب- التعليق الوارد في [كتاب الغَرِيبَيْن «و ل ث» ٩/ ٣٦٢] الذي عرَّف «الجاثليق» بأنه «كبير النصارى أو رئيسهم»، ووثَّق ذلك من [التاج «ج ث ل ق»، من دون ذكر المؤشر المكاني]، والأولى توثيق ذلك التعليق من [معجم المصطلحات الكنسية، للراهب القس أثناسيوس المقاري، دار مجلة مرقس، القاهرة، ط٤، ٢٠٢١م] «ص ١٩٧». يقول هذا المعجم: «جاثليق كلمة أرمينية من أصل يوناني: ... وتعني: «متقدم الأساقفة»؛ أي: المشرف على أكثر من أسقفية محلية... ولهم تصرف شبه مطلق في تدبير شئون رعيتهم».

٢/ ٢ كتاب الغَرِيبَيْن: تحليل خطاب تحقيق التحقيق على مستوى تطبيقات المكملات الحديثة:

المكملات الحديثة جزء أصيل من مفهوم التحقيق أو النشر النقدي في التقاليد الاستشراقية والتقاليد العربية على السواء، وهي جزء أصيل من هذا العلم تنظيرًا وتطبيقًا. ومُرَاجِع أدبيات التَّنْظِير يجد مصداق ذلك من لَدُنْ عمل الأستاذ عبد السلام هارون المؤسِّس في الثقافة العربية المعاصرة، [يُنظر: تحقيق النصوص ونشرها، «ص ص ٨٣-٩٩»]، فقد صنع فصلًا بعنوان: المكملات الحديثة.

واستمر ذلك الحضور في الأدبيات العربية المعاصرة على ما نجد عند بنت الشاطئ في [مقدمة في المنهج، ١٩٧١م «ص ١١٠»]، وعبد المجيد دياب في [تحقيق

التراث العربي منهجه وتطوره، ١٩٨٠م «ص ص ٢٨٠-٢٩٩»]، والدكتور رمضان عبد التواب في [مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمُحْدَثين، ١٩٨٢م «ص ص ١٣٥-٢١٩»]، والدكتور عبد الله عسيلان في [تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ١٩٩٤م «ص ص ٢٣٣-٢٥٣»]، وغير هؤلاء كثير.

«٥»

ومفهوم المكملات الحديثة ينصرف إلى مجموع ما ينهض به المحقق لخدمة:

- دراسة النص مشغلة التحقيق.

- وإضاءة هذا النص بتنوير سيرة مؤلفه، وتراثه السابق واللاحق، وتوثيق عنوان توثيق نسبته.

- وتيسيره للمستعملين بتعظيم سبل الإفادة منه بالملاحق والكشافات والفهارس.

وسوف نحلل عمل الدكتور جبل وفق منظور التحرير الذي يُظهر التحقيق منشورًا:

أولًا- تطبيقات محقق كتاب الغَرِيبَيْن على مستوى المكملات الحديثة القبلية:

يحتاج أي نص تراثي عند تحقيقه إلى القيام بحزمة من المكملات الحديثة، تسكن قبل النص المحقق عند إعداده للنشر، وهذه المكملات القبلية هي:

١- المقدمة التي تحتوي كلمة كاشفة تُعَيِّن بصورة موجزة وواضحة أهميةَ النص، ودواعي تحقيقه، وتاريخ عناية المحقق بمجاله المعرفي.

وقد صنع الدكتور جبل مقدمة «ص ص ٥-١٠» شملت الإشارة إلى ما يلي:

أ- قصة توجُّهه لتحقيق كتاب الغَرِيبَيْن «ص ٥-٨».

ب- خطوات الاشتغال في تحقيق الكتاب «ص٨».

ج-تقديم الشكر لمن عَاوَنَ المحقق «٩-١٠».

وقد ترك الدكتور جبل جملة مما يلزم ظهوره في مقدمة التحقيق؛ لأن ثمة مقدمة أخرى ينهض بها المشرف على إخراج التحقيق، وهو الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان، الذي تناول في تصديره ما يلي:

أ- أهمية الغَرِيبَيْن في خدمة لغة الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة.

ب- منزلة كتاب الغَرِيبَيْن بوصفه واحدًا من أعظم كتب الغَرِيبَيْن في تراث العربية «ص: أ-ب».

ج- موجز تاريخ العناية بتحقيق الغَرِيبَيْن «ص: ب-ج».

د- موجز عمل المحقق الدكتور جبل في إتمام تحقيق هذا الكتاب «ص: ج».

٢- بين يدي الكتاب: «جهد العَلَّامة الطناحي وجهدي في التحقيق / النشرات السابقة للكتاب / النسخ المعتمَدة في التحقيق».

أفرد الدكتور جبل مساحة جيدة بيَّن فيها ما يلي:

أ- جهد الدكتور الطناحي في تحقيق الجزء الأول الذي صدر من كتاب الغَرِيبَيْن ١٩٧٠م، والذي تضمَّن مفرد كتاب الهمزة وكتاب الباء وكتاب التاء وكتاب الثاء وكتاب الجيم بالإضافة إلى الحروف الأخرى «الحاء والخاء والدال والذال والراء والزاي» وما لم يُنشر، وحصل عليه مخطوطًا من وَرَثَة الدكتور الطناحي، وتفاصيل هذا الجهد ظاهرة.

- النسخ / وتخريج الآيات الكريمة / والمقابلة / ومعالجة هذه المواد مما يحتاج إلى تنبيه قوله «١/ ١١»: «تمثل هذا الجهد في... تحقيق مادة الكتاب التي تنتظم أحد عشر حرفًا من الهمزة إلى الزاي... وقد طُبعت هذه الأحرف في مجلد واحد، ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية «١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م»»!

والحقيقة أن المطبوع في المجلد المشار إليه إنما هو تحقيق الأحرف الخمسة من الهمزة إلى الجيم فقط، فقد ورد في «ص٤٣٢ من الطبعة المذكورة» آخر حرف الجيم [هذا آخر الجزء الأول - بتجزئة المحقق بين كتاب الغَرِيبَيْن يليه في الذي بعده: كتاب الحاء [ولم يطبع هذا الذي بعده].

ب-جهد الدكتور جبل في تحقيق الكتاب، وتمثَّل فيما يلي:

- تحقيقه بقية الكتاب «١/ ١٢» المادة الواردة تحت سبعة عشر حرفًا، من السين إلى الياء.

- مقابلة النص على النسخ المعتمدة سلفًا من الدكتور الطناحي، مضافًا إليه مقابلته على نسخ أخرى جديدة.

- مقابلة الكتاب على تهذيب اللغة للأزهري «ت ٣٧٠هـ» بوصفه نسخة ثانوية، إذ هو «أهم مصدر نهل منه الهروي وأسس عليه كتابه» كما قرَّر المحقق «١/ ١٢».

- تخريج الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة والتابعين وتخريج الأشعار / والأمثال / ونسبة الآراء إلى أصحابها / والترجمة للأعلام.

- مراجعة نص كتاب الغَرِيبَيْن على من نبَّه على أوهامه وانتقده من مثل: ابن ناصر السلامي «ت ٥٥٠هـ» في «التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغَرِيبَيْن لأبي عبيد أبي موسى المديني» في «تقذية ما يقذي العين من هفوات كتاب الغَرِيبَيْن».

- التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من الآراء، وشروح الألفاظ الغريبة.

- إكمال ما نقص من عمل الدكتور الطناحي في الجزء الذي حقَّقه؛ ليكون منهج التحقيق منسجمًا.

- توثيق التخريجات والتعليقات.

ج- بيان مسوِّغات إعادة التحقيق؛ ذلك أن النشرة السابقة لأحمد فريد المزيدي «١/ ١٧» «طبعة تجارية»، وأنها «تفتقر إلى مقوِّمات التحقيق العلمي المعتبَر».

والحقيقة أن معالجة الدكتور جبل لهذا العنصر جاء فقيرًا، وهو ما ظلم عمله، وتحقيق أحمد فريد المزيدي غير معتبَر من منظور العلم، ونشرة الدكتور جبل حازت -بامتياز- مسوِّغات إعادة التحقيق، وهي:

- وجود **نسخ جديدة مؤثرة** للكتاب.

- وجود نقص في نشرة المزيدي.

- وجود خلل في معالجة نص الغَرِيبَيْن على مستوى قراءة النص وضبطه وتخريج نقوله والتعليق على ما فيه.

٢- بيان بوصف النسخ المعتمدة «١/ ١٩-٤٧»، وحق هذا المكمل أن يأتي آخر شيء في المكملات القبلية مقرونًا بالصورة الضوئية لنماذج المخطوطات أو النسخ المعتمدة بعد دراسة منازل النسخ.

٣- مقدمة الدكتور الطناحي التي طُبعت مع المجلد الأول الذي صدر سنة ١٩٧٠م، وفيها:

أ- ترجمة الهروي صاحب الغَرِيبَيْن «١/ ٤٨-٦٦».

ب- دراسة نص كتاب أبي عبيد = «منهج أبي عبيد في الغَرِيبَيْن» «١/ ٦٦-٧٩»؛ وعالج فيها:

- البدء بتفسير غريب القرآن الكريم.

- كيفية معالجة شرح غريب الحديث.

- روايات الغَرِيبَيْن.

- ما كُتب حول الغَرِيبَيْن.

- الهروي وكتابه في كتب الأدب واللغة والتفسير.

- الهروي في المعاجم العربية.

والحقيقة أن هذا الجزء -مع قيمة ما ورد فيه- كان يحتاج إلى تحديث من الدكتور جبل، وفق منهجه الذي اشترطه على نفسه، ولا سيما أن مياهًا كثيرة جِدًّا جَرَتْ في النهر بعد صدور المجلد الأول ١٩٧٠م، الذي مَرَّ عليه أكثر من نصف قرن، ظهرت فيها مصادر كثيرة جِدًّا كان بإمكانها أن تغني دراسة هذا النص.

٤- وبقي مما كان يلزم بيانه ما يلي:

أ- توثيق عنوان الكتاب كما وردت به النسخ، وأثبته علماء الفهارس والمشيخات والتراجم، ومن نقلوا عنه ممن جاءوا بعده.

ب-توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه بالدلائل الداخلية والخارجية معًا.

ج- تخصيص مبحث لمصادر الهروي في بناء الغَرِيبَيْن، ولا سيما تهذيب اللغة للأزهري، ذلك أن الهروي كان أقرب تلاميذ الأزهري إليه، وهو مُلَقَّب بغلام الأزهري.

ثانيًا- تطبيقات المحقق على مستوى المكملات الحديثة البعدية:

المكملات الحديثة البعدية هي ما ينهض به المحقق من أعمال خدمة للنص باستكمال مادته العلمية مما ورد متعلقًا بموضوعه مما لم يَرِدْ في النسخ المعتمدة، وهو الأمر الذي تنهض الملاحق، وأعمال خدمة للمستعملين المتوقعين بتيسير حصولهم على المعلومات أو المكونات الصغرى، وهو ما تنهض به الكشافات.

وفيما يلي تحليل عمل الدكتور جبل فيما يتعلق بالمكملات الحديثة البعدية:

أ- صنع الدكتور جبل ثلاثة عشر «فهرسًا» وخصص الجزء العاشر كاملًا لما أطلق عليه الفهارس العامة، وهي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- وفهرس القراءات القرآنية.
- وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- وفهرس الآثار.
- وفهرس الأمثال.
- وفهرس الأشعار.
- وفهرس الأرجاز.
- وفهرس الأعلام.
- وفهرس الكتب «الواردة في المتن».
- وفهرس البلدان والأماكن.
- وفهرس القبائل والجماعات.
- وفهرس المصادر والمراجع.

ومما يلحظ على عمل الدكتور جبل على هذا القطاع من المكملات البعدية ما يلي:

- إطلاق تسمية الفهارس غير دقيق، والأولى تسميتها بالكشافات فيما عدا قائمة المصادر والمراجع فهي فهرس.

- الفصل بين الأشعار والأرجاز بدعة، ولا مسوِّغ من المنظور الفني أو العلمي للفصل بينهما، وهما من جنس قولي واحد هو الشعر، يقول الدكتور رمضان عبد التواب في [مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م] «ص٢١٦»: «وهناك مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لفهرسة «لتكشيف» الشعر، لا بُدَّ من التنبيه عليها... «وهي» بدعة فصل الرجز عن القصيد في فهرس مستقل؛ فهذه البدعة تفترض في كل باحث في هذا الكتاب أو ذاك عن بيت من الشعر أنه عالِم بفن العروض، وأنه سيتَّجه مباشرة إلى الفهرس الذي يريد، وهذا للأسف ليس متحققًا في جمهرة الباحثين في العصر الحاضر، ولذلك ترى مثل هذا الشخص الذي لا يعرف الفروق بين الرجز وغيره مضطرًّا إلى مراجعة فهرسين «= كشافين» في حرف معين، بدلًا من مراجعة فهرس «كشاف واحد».

- عدم وضع أرقام السور في كشاف الآيات القرآنية الكريمة، وإطلاق اسم السورة عاريًا من مصطلح السورة، بمعنى أن الكشاف يقول:

- «الفاتحة» والصواب: «سورة الفاتحة»، وأن يسبقها رقم «١»، وهو رقمها في المصحف الشريف.

- وقد أحسن كشاف الآيات القرآنية الكريمة عندما وضع رقم كل آية فيه بين معقوفين بلون أحمر، غير أن ذلك لم يستمر، وغاب اللون الأحمر بدءًا من «١٠/ ١٧» إلى نهاية «١٠/ ٩١». وكذلك الحال مع كشاف القراءات القرآنية؛ حيث غاب ذِكر مصطلح السورة مع كل سورة، وجاء لون أرقام القراءات بين المعقوفين بغير اللون الأحمر «١٠/ ٩٢-٩٩»، وقد خلا ذِكر صاحب القراءة ونوعها في الكشاف.

- وأما كشاف الأحاديث فقد رتب المحقِّق فيه الأحاديث على الأطراف، وهو غير مناسب في هذا الكتاب؛ لأنه ليس مدونة حديثية، وإنما الأنفع أن

تُكشف الأحاديث وفق المواد اللغوية أو الجذور للكلمات التي شرحها الهروي وفسَّرها. وإذا كانت الأحاديث شواهد أي جاء بها للاستشهاد وليس للشرح فهي التي يمكن قبول تكشيفها وفق أطرافها.

- وأما كشاف الآثار فالمستقر عدم فصله عن كشاف الأحاديث، ذلك أن كثيرًا من الآثار مرفوع إلى سيدنا النبي ﷺ، وأن مصادر اللغة لا تفرق بينها عند فحص مسألة الاحتجاج اللغوي.

- أما كشاف الأشعار فقد أورد فيه البيت كاملًا وأمامه المؤشر المكاني أو موضع وروده في الكتاب.

والحقيقة أن هذا الكشاف جاء مخالفًا لمعايير تكشيف الأشعار في النصوص التراثية المحقَّقة التي تُبنى على ما يلي:

القافية البحر القائل المؤشر المكاني الملاحظات

وربما أضافت بعض التطبيقات مطلع البيت قبل القافية

وفي نهر القائل إذا كان القائل مجهولًا وضعيفًا «-»، وإذا كان واردًا في النص جئنا باسمه، وإذا كان من نسبة المحقق وضعنا اسم الشاعر بين قوسين هلاليَّيْن «» وجاء نهر الملاحظات لأي تعليق يتعلَّق بتعدُّد نسبة البيت أو غيره.

وقد وقعت مجموعة أمور في كشاف الأشعار والأرجاز تحتاج إلى مراجعة، من مثل:

- فصل أبيات القطعة الواحدة في الكشاف، فمثلًا ورد في «١/ ١٩٧» ثلاثة أبيات من الرجز هي:

لأنكحن ببه

جارية خديه

تجب أهل الكعبة

وفي الكشاف «١٠/ ٢٨٣» أورد البيت الأول والثاني، ثم جاء بعده أبيات، ثم جاء بالبيت الثالث بعدها!

- غياب التبصرات عن كشاف الأعلام، فمثلًا عند تكشيف اسم الشاعر «الأسود بن يعفر النهشلي الشاعر»، كان يفضل إضافة تبصرة تقول: «أعشى نهشل».

وقد اعتنى الدكتور جبل بالتبصرات في كثير من مواضع تكشيف الأعلام، لكنه لم يضعها بين قوسين هلاليين؛ مثلًا نرى في اسم:

«زينب بنت جحش [رضي الله عنها]، «أم المؤمنين»».

وكان الأيسر وضع المؤشر المكاني كاملًا أمام كل مادة لغوية بدًلا من تكشيف المواد بذكر الجزء مرة واحدة.

- أما فهرس مصادر التحقيق ومراجعه فتحتاج إلى مراجعة الترتيب، فقد تأخَّر عنوان «الآثار» وتقدَّم عليه: «الآثار المروية»! [١٠/ ٤١٧].

وتقديم «أمثال الحديث» على: «الأمثال» [١٠/ ٤٢٢].

وتقديم «أنساب الأشراف» على: «الأنساب» [١٠/ ٤٢٣]، تأخير «البئر» وحقُّه أن يتقدم ليكون أول مصدر أو مرجع في حرف الباء!

تأخير «المطر» أو تقديم المطر والرعد والبرق والريح عليه، وغير ذلك.

ب- الملاحق:

تنهض فلسفة العناية بصناعة الملاحق ضمن أعمال المكملات الحديثة في تطبيقات التحقيق على الوفاء لمبدأ خدمة موضوع النص مشغلة التحقيق، من طريق جمع مادة وثيقة الصلة بمادة المتن ولا سبيل بحال إلى إدراجها فيه.

وثمة حاجة مُلِحَّة إلى صناعة ملحق على الأقل يجمع انتقادات ابن ناصر السلامي التي رصدها في كتابه «التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغَرِيبَيْن لأبي عبيد»، وما رصدها أبو موسي المديني في كتابه: «تقذية ما يقذي العين من هفوات كتاب الغَرِيبَيْن».

صحيح أن المحقق نثر هذه النقدات في هوامش معالجته وتحقيقه لنص كتاب الغَرِيبَيْن، لكن جمعها في ملحق وفق ترتيب الغَرِيبَيْن أكثر نفعًا لدارسي الغَرِيبَيْن وقارئيه.

كما أن هذا التحقيق كان في حاجة إلى جمع النقول التي نقلها الخالفون بعد أبي عبيد من كتابه الغَرِيبَيْن، ولم تَرِدْ في النسخ المعتمدة في التحقيق.

ج- الكشافات الغائبة:

ثمة ما كان يحتاج إلى تخصيصه بكشافات خاصة لخدمة مستعملي الكتاب المتوقَّعين من جانب، وبالنظر إلى انتماء الكتاب المعرفي من جانب آخر، من مثل:

- كشاف المعرب من الألفاظ الأعجمية.
- كشاف مسائل الإعراب واللغة.
- كشاف الحيوان.
- كشاف النبات.
- كشاف ألفاظ الحضارة، وغير ذلك.

خاتمة

تناولت المراجعة العلمية النقدية فحصَ جهد المحقِّق الكريم الدكتور عبد الكريم جبل في تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن، لأبي عبيد الهروي غلام الزهري «ت ٤٠١هـ». وقد توقفت هذه الدراسة أمام المطالب التالية:

أولًا- تمدُّد الوعي وفعاليته في ميدان تطوير المعجمية العربية التراثية لرعاية مطالب خدمة الشريعة بالأساس.

ثانيًا- تحليل خطاب نوع كتاب الغَرِيبَيْن وانتمائه المعرفي وقيمته العلمية والحضارية.

ثالثًا- تحليل خطاب تحقيق التحقيق على مستوى تطبيقات الأسس:

١- اختيار النص.

٢- جمع النسخ، ودراستها، وترتيب منازلها.

٣- النسخ والمقابلة وإثبات فروق النسخ.

٤- معالجة النص: تخريجًا وتعليقًا وتوثيقًا.

رابعًا- تحليل خطاب التحقيق على مستوى تطبيقات المكملات الحديثة:

١- المكملات الحديثة القبلية.

٢- المكملات الحديثة البعدية.

وقد أظهرت هذه الدراسة جملة من النتائج، أبرزها:

أولًا- قيام الدواعي إلى ضرورة إعادة تحقيق كتاب الغَرِيبَيْن؛ إذ توافرت المسوغات الداعية إلى ذلك من تحصيل نسخ جديدة ومؤثرة، وحصول سقط وأخطاء فيما صدر من طبعة سابقة.

ثانيًا- حضور الوعي بجملة الأسس المعتبرة في تحقيق النصوص التراثية، وهي أسس اختيار النص، وجمع نسخه ودراستها وترتيب منازلها ونسخها ومعالجة النص قراءة وضبطًا وتخريجًا وتعليقًا وتوثيقًا.

ثالثًا- حضور خدمة النص بعدد من المكملات الحديثة استجابة لمنظورات خدمة النص وإضاءته وخدمة مستعمليه المتوقعين.

رابعًا- حصول ما يحتاج إلى شيء من المراجعة، إن على مستوى النص تخريجًا وتعليقًا وتوثيقًا، وإن على مستوى إنجاز المكملات الحديثة.

***

الفصل السادس

قراءة في كتاب

«فقة اللغة وسر العربية»

لأبي منصور الثعالبي المُتَوَفَّى ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م

قراءة في كتاب «فقة اللغة وسر العربية»
لأبي منصور الثعالبي المُتَوَفَّى ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م

٠ / مدخل: المعجمية العربية: تاريخ من العراقة والازدهار!

لقد بات من المستقر والمتواتر وصف تاريخ المعجمية العربية بالعراقة والازدهار. وهذان الوصفان وردا عند جون هايور في تأريخه للمعجمية العربية، وعند دافيد كريستال في موسوعة كامبردج اللغوية، هذا فضلًا عن تواتُر ورودها في الأدبيات العربية المعاصرة من لدن عمل حسين نصار المؤسس: «المعجم العربي: تاريخه وتطوره». وقد تأسس ذلك التواتر على حزمة بالغة الوضوح من العوامل والتجليات هي:

أولًا- القدم التاريخي؛ ذلك أن تاريخ العناية بالمعجم العربي من أقدم تواريخ العناية بالمعجمات في ثقافات العالم ولغاته.

ثانيًا- التنوع التصنيفي المذهل بقياس الزمان الذي شهد ميلاد هذا التاريخ، وتطوره، وهذا التنوع الذي توزع على المعجمية العامة والمختصة، والمعجمية الأحادية واللغة، والثنائية اللغوية، والمعجمية اللفظية والمعجمية الموضوعية، إلخ.

ثالثًا- التنوع المنهجي الذي توسع جِدًّا في تطبيقات أنظمة عديدة للترتيب التي طالت الترتيب الصوتي والألفبائي والأبجدي، والترتيب وفق نظام الأبنية، والترتيب وفق نظام الحقول الدلالية أو المعاني، إلخ.

رابعًا- التمدُّد الزماني والمكاني الذي غطى جغرافية الحضارة العربية الإسلامية.

خامسًا- الوفاء المذهل لمنظور المستعمل، شفقة ورحمة لجموع المستعملين المشتغلين بالعلم، وتطبيقًا حضاريًّا لواحدة من أبرز سمات الشريعة الإسلامية وهي التيسير على الخلق.

١/ كتاب فقه اللغة وسر العربية: خطاب النوع والمادة والانتماءات العربية والقيمة العلمية والحضارية:

١/ ١- فقه اللغة وسر العربية: خطاب النوع:

يُدرج كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ابتداءً في تاريخ المعجمية العربية التراثية ضمن قائمة معجمات الموضوعات أو المعاني بصورة أولية، لكن هذا التجنيس يظل صحيحًا على سبيل التوسُّع فقط، وأما عند التدقيق فنحن أمام **معجم فريد** في منحاه الذي توجَّه إلى خدمته؛ ذلك أنه معجم موضوعي «استعمالي» يهدف إلى خدمة قضية الفصاحة والبلاغة بالدلالة على ما يلزم الوعي به والتنبه إليه عند الإنشاء والإبداع من ضرورة تنزيل الكلمات تنزيلًا صحيحًا بحسب السياقات والمقامات والمتكلمين والمخاطبين.

وهو ما تنبه إليه ابن خلدون في مقدمته عندما تحدث عن علوم اللسان مقرِّرًا أن كتاب فقه اللغة وسر العربية معجم فريد بسبب هذه العناية بالطاقة الاستعمالية الكامنة في اللسان العربي؛ ذلك أنه إذا كان الرصيد اللغوي العربي يمتلك الألفاظ التالية على لون البياض: الأزهر / والزهراء؛ والأشقر / والشقراء / واليقق، فإن هذا الرصيد لا يسمح إلا بقولنا: رجل أزهر وامرأة زهراء، وحصان أشقر وفرس شقراء، وفضة يقق، والترخُّص بإطلاق لفظتي الأبيض والبيضاء على هذه جميعًا مخالف لمقتضيات الفصاحة والبلاغة.

وهذا هو الفيصل الحقيقي في تجنيس كتاب فقه اللغة وسر العربية عند النظر الفاحص الدقيق، وهو ما يفسِّر توزُّع مادته على قسمين هما:

أ- فقه اللغة، وهو جزء المعجم الموضوعي الاستعمالي.

ب- سر العربية، وهو الجزء الكاشف عن قوانين هذا النظام اللساني الاستعمالي.

١/ ٢- فقه اللغة وسر العربية: خطاب المادة:

جاء الكتاب في قسمين هما:

أولًا- قسم فقه اللغة، وهو معجم موضوعي استعمالي ضم ثلاثين بابًا توزعت ستمئة فصل، ليشكل صورة لمعجم جديد في الوظيفة المرصودة.

ثانيًا- قسم سر العربية، وهو مدونة في أسرار نظام اللسان العربي، وضمَّ تسعة وتسعين فصلًا، ليشِّكل مدونة مركزة تجمع الخصائص الأسلوبية للعربية، وطرائق التعبير فيها، أو على حد تعبير الثعالبي: «مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها».

١/ ٣- فقه العربية وسر العربية: خطاب الانتماءات المعرفية:

في الطريق إلى التشغيل الحضاري للمكتبة التراثية في اللحظة الراهنة، من المهم التوسع في بيان الانتماءات المعرفية للكتب التراثية؛ بهدف الدلالة على مسارات استثمارها في التشغيل الحضاري في اللحظة الحضارية الراهنة المأزومة. وكتاب فقه اللغة من الممكن أن يُدرج في حزمة من الانتماءات المعرفية التالية:

أولًا- المعجمية الموضوعية الاستعمالية التي تُعين على بيان الاستعمال الخاص من مجموع الرصيد أو الوضع اللغوي تبعًا للسياقات المتنوعة.

ثانيًا- حقل البلاغة العربية، ولا سيما فيما يتعلق بمسألة الفصاحة على مستوى التراكيب التي تحكمها قضية الإسناد.

ثالثًا- حقل الفيلولوجيا العربية، أو الكشف عن أسرار النظام اللغوي العربي.

رابعًا- حقل الأنثروبولوجيا اللغوية العربية.

خامسًا- حقل دراسات التفسير وأصول التفسير.

سادسًا- حقل دراسات علم الكلام العملي أو التطبيقي الذي يَرُومُ الرد على شبهات الشعوبيين القدامى والعلمانين المعاصرين والمستشرقين المُغْرِضِين.

سابعًا- حقل دراسات العمران البشري، من منطلق أن ضبط اللغة أو اللسان شرط تأسيس للاجتماع البشري.

ثامنًا- حقل دراسات الخُلُق والقيم؛ ذلك أن اللغة في اللسانيات التراثية، واللسانيات المعاصرة في بعض مدارسها، مؤسِّسة ومنشئة للوعي والإدراك والأفكار.

١/ ٤- كتاب فقه اللغة وسر العربية: خطاب القيمة العلمية والحضارية:

تتحدد قيمة هذا الكتاب العلمية والحضارية من عدة أمور يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا- الطريق الجديدة التي افتتحها من غير سبق في تاريخ المعجمية العربية؛ إذ فتح هذا الكتاب طريقًا لمعجمية الاستعمال التي تضبط الكتابة والإبداع على قاعدة الفصاحة التي تُوجب استعمال كلمة بعينها في سياق معين، وإن شاركها غيرها المجال الدلالي العام.

ثانيًا- نهوضه على الجمع بين المدونة المصنفة موضوعيًّا واستعماليًّا وتدرجيًّا في الحقل الدلالي الواحد، وبين قوانين النظام اللغوي العربي معتمدًا على الأصول الكبرى المؤسسة في الاحتجاج والاستشهاد، وفي مقدمتها القرآن الكريم.

ثالثًا- تنوُّع الانتماءات المعرفية التي تضمه إليها، وهو ما يجعل منه كتابًا تراثيًّا ثريًّا في ميادين التشغيل الحضاري الراهن والمستقبلي.

رابعًا- تحقيقه تحقيقًا علميًّا رعى الترجمة الضافية لصاحبه، ودراسته وخدمة نصه بعمليات معالجة متنوعة وموثقة، ومخدومًا بحزمة من الكشافات التي ترعى منظور المستعمل بهدف التيسير عليه، وتعميم النفع بمكوناته العلمية الصغرى بتيسير الوصول إليها في سرعة، وعدم جهد، وعدم كلفة.

خامسًا- صدوره في طبعة جديدة استدرك محقِّقُها فيها ما عثر عليه بعد طبعته السابقة من نصوص ونقول نقلها عنه عدد موفور من الكتب التراثية بعده، ما يعلو بمكانته، وبوعي العقل العلمي العربي بمكانته ومنزلته، ما يعين على تعزيز التشغيل الحضاري له في الوقت الراهن والمستقبل.

٢/ كتاب فقه اللغة وسر العربية: أمثلة من خطاب التشغيل الحضاري:

عرفنا سابقًا أن هذا الكتاب يمثِّل أحد المصادر المهمة على طريق خدمة النشاط التفسيري للكتاب الكريم، وخدمة الوعي بقوانين النظام اللغوي العربي، والوعي بمنطق اللسان العربي الخاص، وخدمة البلاغة العربية بتعزيز مبحث الفصاحة فيها، وفيما يلي ثلاثة أمثلة تحاول أن تكشف عن هذه المسارات التشغيلية الخادمة للعلم في الأمة:

٢/ ٠- خدمة التأسيس المعرفي لدور اللسانيات التراثية في خدمة العلم في الأمة:

افتتح الثعالبي كتابه قائلًا: «من أحبَّ الله تعالى أحب المصطفى ﷺ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان... اعتقد أن محمدًا ﷺ خير الرسل... والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد».

ففي هذا النص يلح الثعالبي على جملة المعلومات المؤسسة التالية:

أولًا- العلاقة العضوية بين الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما باللسان العربي بوصفه لسان الكتاب العزيز الخاتم، وهي السردية الدينية المدافعة عن العربية ضد خصومها.

ثانيًا- الربط بين اللغة العربية وإتقان علوم الإسلام وحضارته، وهي السردية العلمية الحضارية التاريخية التي تستثمر في الدفاع عن اللسان العربي ضد مُتَّهِميه.

ثالثًا- الربط بين اللغة والعمران والتنمية «إصلاح المعاش»، والربط بين اللغة والتزكية من طريق منظومة القيم الراقية التي جاء بها الإسلام وجعلها طريقًا للنجاة في الآخرة «إصلاح المعاد».

٢/ ١- خدمة تفسير الكتاب العزيز:

حرص الثعالبي في كثير من فصول أبواب كتابه على بيان الغريب القرآني، والفروق الحاصلة بين الألفاظ المتقاربة شبه المترادفة؛ لتحصيل الفهم الدقيق لمرادات الله في كتابه، ومن ذلك ما جاء في الفصل الأول من باب الكليات، ومما جاء فيه:

«فصل فيما نطق به القرآن من ذلك [يقصد من الكليات]...

- كل ما علاك فأظلك فهو سماء.

- كل أرض مستوية فهي صعيد.

- كل حاجز بين الشيئين فهو: موبق.

- كل بناء مربع فهو كعبة.

- كل بناء عالٍ فهو صرح.

- كل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة.

- كل ما غاب عن العيون وكان مُحَصَّلًا في القلوب فهو غيب.

- كل ما يُسْتَحْيا من كشفه من أعضاء الإنسان فهو عورة».

وتأمل هذه التعريفات كاشف عن مدى العون الذي ينهض به هذا الكتاب لمن رام تدبُّر الكتاب العزيز وتفهمه.

٢/ ٢- خدمة الوعي بقوانين النظام اللغوي، والوعي بمنطق اللغة العربية الخاص:

وفي القسم الأخير من هذا الكتاب وجَّه الثعالبي عنايته لبيان قوانين النظام اللغوي العربي مما يعود بالنفع على الدفاع عن العربية «القرآن الكريم» ضد خصوم العربية والإسلام، وبيَّن مثلًا أن للجمادات إيرادات في منطق العربية، مستشهِدا بقوله تعالى ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [سورة الكهف ١٨/ ٧٧]، فأثبت بهذه الآية الكريمة أن العربية في نظامها تجعل للجمادات الإرادات، ما يعزِّز القوة المجازية للتعابير الموجهة لغير الإنسان، ما يرقى بالنظرة إلى طبيعة الحياة في العقل العربي.

٢/ ٣- تعزيز بحوث البلاغة العربية والفصاحة فيها: انطلق الثعالبي في كتابه هذا من مبدأ خدمة «اللغة في الاستعمال»، وهو ما جعله نصًّا مؤسِّسًا يسهم في تعزيز ممارسة الفصاحة عن طريق تمكين المتكلمين من تحصيل فروق ما بين الألفاظ المتقاربة عند إرادة استعمالها، وهو بذلك نص حاكم لكل رام يروم إحكام مبحث الفصاحة في البلاغة العربية، يقول ابن خلدون: كانت العربية تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظًا أخرى خاصة بها، فرق ذلك بين الوضع والاستعمال. وهو ما نهض به فقه اللغة.

٣/ فقه اللغة وسر العربية: كتاب واحد وليس كتابين:

إن هـذا الكتـاب بصورتـه هـذه، وغاياتـه المعلنـة، ونصـوص مقدمتـه، وترابـط قسـميه، يمثِّـل كتابًـا واحـدًا جامعًـا بـين المدونـة وقوانـين اسـتعمال ألفـاظ هـذه المدونـة، وهـو مـا يجعـل الدعـوى التـي ادعاهـا نَفَـرٌ مـن الباحثـين أن فقـه اللغـة وسر العربيـة كتابـان وليـس كتابًـا واحـدًا دعـوى باطلـة وزَعْـم سـاقط؛ بدليـل نَـصِّيٍّ في الكتـاب نفسـه يتمثـل فيـما يـلي:

أولًا- نـص المقدمـة التـي جـاء فيهـا «وقـد اخـترت لترجمتـه ومـا أجعلـه عنـوان معرفتـه... مـن «فقـه اللغـة، وشـفعته: بـسر العربيـة، ليكـون **اسـمًا** يوافـق **مُسـماه**، ولفظًـا يطابـق معنـاه».

***

الفصل السابع

ما لا يسع المحقق جهله!

مدخل إلى تحقيق النصوص: قراءة في التشغيل الحضاري

ما لا يسع المحقق جهله!

مدخل إلى تحقيق النصوص: قراءة في التشغيل الحضاري

٠ / مدخل: تمدد تجليات الرحمة والتيسير!

تؤسس المرجعية العليا للإسلام أمر العناية بالتعليم، وتجعله في القمة من مشاغلها، وربما كان مدهشًا إلى أبعد حد أن تأمر نبيًّا من أولي العزم من الرسل أن يضرب في الأرض ليلقى من يتعلم منه، ويُلح في ذلك، يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[سورة الكهف ١٨/ ٦٦].

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه [حديث رقم ١٤٧٨]، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا».

وقد فَعَلَتْ هذه المرجعية العليا من خلال أمثال هذين النصين الكريمين فعلَها في حضارة الأمة؛ فأظهرت للناس تجليات متمددة للرحمة والتيسير على الخلق حتى غدا أمر رعاية **مطالب التعليم** وانعكاساته في تأليف الكتب وتصنيفها لا يضاهيه أي نسق تأليفي آخر، للدرجة التي يمكن أن نقرر معها أن الكتب التعليمية أو المتون التعليمية والشروح التي عليها هي أعلى القوائم كثافة في تاريخ العلم عند المسلمين.

ولقد تعانق أمر الله بالرحمة بالخلق، ويُسر الشريعة التي كانت من أثر رفع الإصر عن الناس، فأنتجا بقاء العناية بالمتعلمين، وبقاء الحرص على التيسير

عليهم، وتمدد أشكال خدمتهم إلى يوم الناس هذا، وهو الأمر الذي صح معه الإعلان عن أن هذه حضارة التأليف في هذه الأمة، تتجلى في تمدُّد وجوه الرحمة والتيسير على المتعلمين في حقول المعرفة جميعًا.

١/ ما لا يسع المحقق جهله: خطاب النوع والانتماء المعرفي والقيمة العلمية الحضارية:

١/ ١- خطاب النوع:

يكشف تحليل بنية الكتاب، وترتيبها والاصطلاح المستعمل في هذا الترتيب وهو مصطلح «الخطوة» عن اندراج هذا العمل ضمن الأعمال المرجعية التي هي من نوع «الدليل»؛ بمعنى أن هذا الكتاب هو «دليل للمستعمل»، وهذه التسمية ترجمة مكافِئة للمصطلح الإنجليزي Avadeumecum for users أو دليل للمتعلمين والمتدربين.

وهذا التصنيف أو النسق التأليفي ناتج تحليل خطاب ما يلي:

أولًا- خطاب بنية المتن المصممة وفق عشر **خطوات** أو مراحل متعاقبة ومتراتبة.

ثانيًا- خطاب الغاية الحاكمة المُعْلَنة في المقدمة، حيث تقول «ص٧»: «لقد ظهرت حاجة **الطلبة** إلى كتاب مختصر يعرض قواعد التحقيق بصورة قريبة لمتناول الباحثين، مركِّزًا على الجانب **العملي** في التحقيق بشكل خاص».

ثالثًا- الإعلان عن أنه جاء استجابة لتوجُّه واضح عنوانه «ص٧»: «تحديث برنامج تحقيق النصوص في مركز البحوث الإسلامية في إستنابول».

ومن ثَمَّ فهذا كتاب عمل مرجعي من نوع «الدليل» العملي المصمم وفق إستراتيجية المراحل المتتابعة؛ لتمكن المشتغلين في ميدان تحقيق النصوص التراثية من إتقانه بوصفه **صناعة** بالمعنى المباشر المتداول للمصطلح في المجالات التطبيقية.

١/ ٢- خطاب الانتماء المعرفي:

ترجع أهمية تعيين خطاب الانتماء المعرفي لهذا العمل المرجعي الذي هو من نوع «الدليل» إلى ما يمكن تشغيله حضاريًّا في مسارات عملية واقعية. وفيما يلي محاولة لرصد هذه الانتماءات المعرفية من خلال تحليل خطاب العتبات والمتن والملاحق:

أولًا- حقل تحقيق النصوص التراثية، وهو الانتماء المعرفي الأصيل المتعالن في العنوان بصورتين من خلال قيدي: «المحقق» في «ما لا يسع **المحقق** جهله»، و«**التحقيق**» في: «مدخل إلى **تحقيق** النصوص»، وكذلك ما جاء في المقدمة «ص ٧»:

«ظهرت حاجة الطلبة إلى كتاب، يعرض قواعد **التحقيق** وأصوله»، ويكشف عن هذا الانتماء أيضًا تحليل خطاب العمليات التي بدأت باختيار النص، وانتهت بإخراجه، مرورًا بتوثيق النص وقراءته ومقابلته، وتحريره وإضاءته والتعليق عليه ودراسته والتذييل عليه.

ثانيًا- حقل الفيلولوجيا، وهو حقل دراسة النصوص «التراثية / القديمة»، وهو الحقل الأوسع الذي أُنتج في الدائرة **الغربية** التحقيق بوصفه وسيلة منهجية.

ثالثًا- حقل الكوديكولوجيا / أو الدراسة المادية للكتاب العربي المخطوط، ويكشف تحليل ملحق الاختصارات، ولا سيما تلك التي بدأت بالفقرة «١٩» إلى الفقرة «٣٩»، تعيينًا عن الانتماء إلى حقل الكوديكولوجيا، ولا سيما في الأجزاء المتعلقة بعمل المحقق؛ إذ تُعينه على إنجاز عدد من عمليات التحقيق واتخاذ قرارات بشأنها، وخصوصًا ما يتعلق بالنسخ والضبط وقراءة النص.

رابعًا- حقل المعجمية المختصة بعلم تحقيق النصوص، ويُعَدُّ الملحق رقم «٦» الخاص بمعجم المصطلحات لبنةً للبناء عليها، في ظل غياب واضح لمعجمات مصطلحات تحقيق النصوص في المكتبة العربية.

وقد ضم هذا المسرد glossary «٥٠٨» مداخل مرتبة ترتيبًا ألفبائيًّا جذعيًّا stem مشرقيًّا.

والحقيقة أن التوسع في رصد الانتماءات المعرفية لهذا الكتاب أمر يقود إلى الإقرار بإمكان انتمائه إلى حقول دراسة التاريخ، والحديث النبوي، وعلم المناهج وأنساق التأليف، والاتصال العلمي وغيرها.

١/ ٣- خطاب القيمة:

يتحرك هذا العمل العلمي بحزمة من العلامات التي تمنحه قيمة خاصة علمية وحضارية حازها من الجوانب التالية:

أولًا- مكانة مؤلفه الدكتور محمود أحمد مصري «محمود مصري» «و ١٩٦١م = ١٣٨١هـ» الذي يمتلك خبرة علمية وعملية في المجال، منها:

أ- في التحقيق العملي:

- مصالح الأبدان والأنفس، للبلخي، [معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م].

ب- في التحرير والتأليف في التحقيق:

- تحرير كتاب محاضرات في تحقيق النصوص [إستنابول، ٢٠١م].

- ثقافة المحقق [دار المرقاة، إستنابول، ٢٠٢٣م].

- ترميم النص التراثي: الأنواع والنماذج [معهد المخطوطات العربية، القاهرة / مج ٥٩، ع١، ٢٠١٥م، «ص ص ٢٠٧-٢٢٩»].

ج- في النشاط الإداري العلمي المختص:

- منسق دورات التحقيق في عدد من المؤسسات الوقفية العلمية المعنية بالتحقيق.

- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

ثانيًا- طبيعة الكتاب وغاياته الجديدة والأصيلة بوصفه عملًا بيداجوجيًّا / تعليميًّا غير مسبوق، وهو ما انعكس على ما يلي:

أ- تصميم الكتاب وفق نسق المراحل والخطوات العملية المتراتبة.

ب-احتواء الكتاب عددًا من الملاحق التي هدفت إلى تحسين عملية التحصيل الدراسي للمتعلمين والمتدربين المتوقعين.

ج-استعماله عددًا جيدًا من **الموضحات** البصرية، ولا سيما الخرائط الإدراكية أو الذهنية، والأمثلة الدالة والصور والرسوم التوضيحية والجداول وغيرها.

د- طريقة تحريره التي اعتمدت على استثمار معايير التنسيق والتظليل وإمكانات الحجوم الطباعية.

ثالثًا- المؤسسة التي يصدر عنها الكتاب، وهي مركز البحوث الإسلامية، بإستنابول «إيسام»، وقد صدر عنه من قبل:

أ- أعمال محققة.

ب- أعمال مؤسسية في التنظير لقواعد التحقيق، من مثل:

- أسس تحقيق النصوص؛ بالعربية والتركية.

ج- تنظيم دورات تدريبية -محلية ودولية- في المجال.

٢/ ما لا يسع المحقق جهله: تحليل خطاب المنهج والمصادر

٢/ ٠- تحليل خطاب العتبات:

لعل أول ما يلفت الانتباه ماثل في عتبة العنوان: «ما لا يسع المحقق جهله»، وهو من نوع العنوان التاريخي والثقافي؛ ويرجع هذا التعبير إلى معاني الفرض أو الواجب أو المعلوم بالضرورة، وهو معنى أصولي بامتياز.

وقد قصد الكتاب بهذا العنوان إلى إعلان مسألتين هما:

أولًا- ضرورة قيام قطاع من الأمة بتحصيل قواعد تحقيق النصوص والتدريب عليها وإتقان صناعتها، وهو ما يعني أن علم تحقيق النصوص فرض كفاية في الأمة.

ثانيًا- ضرورة قيام من توجَّه إلى تعلُّم قواعد التحقيق بتحصيل ما نهض هذا الكتاب لخدمته، وهو ما يعني الانتقال من مرتبة فرض الكفاية على العموم، إلى كون تحصيله «**فرض عين**» على الخصوص لمن دخل هذا المجال.

والحقيقة أن قصد العنوان إلى هذا المعنى مسألة مهمة؛ لشَحْذِ هِمَمِ المتعلمين والمتدربين في هذا المجال؛ بربطه بتُخُوم الشريعة وخطابها.

٢/ ١- تحليل خطاب المنهج:

جاءت بنية هذا الكتاب الكبرى على النسق المثالي، فقد احتوت:

أ- واجهة «عنوان: ثقافي / وفرعي / ومقدمة كاشفة عن حزمة من الأغراض والغايات».

ب- متن، من تمهيد وعشر خطوات «فصول».

ج- ملاحق ستة.

وقد نهضت هذه البنية الكبرى بالوفاء بمتطلبات البيداجوجيا / التعليم، وتأسست على رعاية منظور المستعمل / المتعلم والمتدرب، من خلال بيان ما يلي:

أولًا- منزلة العلم من منظور المرجعية الشرعية الحضارية في الأمة، وهو ما نهض ببيانه العنوان الأول.

ثانيًا- تعيين الغايات التي حكمت إعداد الكتاب بوصفه متنًا بيداجوجيًّا / تعليميًّا يهدف إلى تحديث برنامج تحقيق النصوص التراثية.

ثالثًا- تصميم الكتاب وفق إستراتيجية مراحل العمل والإنجاز والتنفيذ، وهذه الإستراتيجية قديمة إلى حد ما، افتتح الإشارة إليها الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان «و ١٣٦٥هـ = ١٩٤٥م» في كتابه: [تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م].

وقد أشرت إلى ذلك سابقًا في حديثي عن اتجاهات التأليف في تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة [تحقيق النصوص التراثية من منظور الخصوصية، د. خالد فهمي، دار الكلمة والدار المغربية، القاهرة والمغرب، ١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠ م] «ص ٤٠-٤١».

«ظهر منذ فترة مبكرة بعد جيل التأسيس والريادة العربية المعاصرة نزوع نحو إرادة تنظيم قواعد هذا العلم ووصفها في صورة **تسهل** التعامل معها والتأتي لها... من هذه المحاولات محاولة اتجهت إلى التنظيم والتأطير من منظور المراحل؛ اتجاه الدليل، وقد مثَّل هذا الاتجاه كتاب الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان... وهو اتجاه استلهم منهج الدليل العملي».

وها هو ذا الكتاب الجديد يستلهم المنهج نفسه بشيء من زيادة في المراحل عما سبقه، وهذا الاتجاه ناتج رعاية تهدف إلى تيسير تعليم قواعد علم تحقيق النصوص والتدريب على العمل في ميدانه.

رابعًا- صناعة ستة ملاحق تهدف إلى تأمين التحصيل الدراسي وتحسينه وتيسيره.

أما البنية الصغرى للكتاب، أو محتويات كل فصل، فقد جاءت كما يلي:

أولًا- البدء بعتبة عنوان فرعي يعيِّن رقم الخطوة أو العملية أو المراحل التنفيذية.

ثانيًا- افتتاح الفصل / الخطوة بتحرير مفهومها من طريق التعريفات الإجرائية.

ثالثًا- رصد العمليات الجزئية / التفصيلية اللازم القيام بها، وتحليلها، وبيان كيفيات تنفيذها، وشرح ما يتعلق بها، والتمثيل عليها.

رابعًا- الحرص على بيان خصائص كل خطوة، والفروق التي تميِّز كل خطوة عن غيرها، وإن انْضَوَتْ جميع الخطوات تحت خطوة علوية كبرى.

خامسًا- الحرص على بيان وظائف كل خطوة، وأهميتها للتحقيق.

٢/ ٢- تحليل خطاب مصادر الكتاب ووظائفها:

٢/ ١.٢ المصادر هي المظانُّ التي اعتمد عليها الكتاب في بناء مادته، وتحقيق غاياته، وهي تتوزع على نوعين ظاهرين؛ هما:

أولًا- مصادر التجربة والخبرة العلمية والعملية التي حازها وحصَّلها صاحب الكتاب على امتداد عمله الطويل في المجال تحقيقًا وتأليفًا وتدريسًا وتدريبًا.

ثانيًا- المصادر المكتوبة السابقة، وقد توزعت هذه الطائفة على أعمال مرجعية من نوع المعجمات المختصة بمصطلحات المجال، على ما يظهر من اعتماد الكتاب مثلًا على مصطلحات الكتاب العربي المخطوط، لأحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، وتقاليد المخطوط العربي، والمرجع في علم المخطوط، وكلاهما لآدم جاسك، كما اعتمد على أعمال الكوديكولوجيا / أو علم المخطوط؛ إدراكًا منه للعلاقة الوثيقة بين التحقيق وهذا العلم، وكذلك اعتمد على عدد من أدبيات تحقيق النصوص الجماعية السابقة عليه.

٢/ ٢.٢ وظائف المصادر، وقد نهضت مصادر الكتاب بتحقيق ما يلي:

أولًا- الوظيفة المعرفية؛ إذ عليه اعتمد الكتاب في بناء مادته وتمكين المتعلم من مكتبة تعينه على الاستزادة عند الحاجة.

ثانيًا- الوظيفة الموثوقية، فقد أتاح الكتاب بهوامشه وقائمة مراجعه مستوى من الثقة لدى مستعملي الكتاب تحقِّق لهم قدرًا من الموثوقية والاطمئنان لما يحصِّلونه من معرفة من طريقه.

ثانيًا- الوظيفة التصحيحية والاستدراكية، فقد استطاع هذا الكتاب تصحيح عدد من الأمور والمسائل، وهو ما يجعل منه عملًا تصحيحيًّا واستدراكًا في المجال، من طريقه يمكن تصحيح بعض ما فُرط في مؤلفات سابقة، أو ما جاء غير مفصل فيها.

إن عمل الدكتور محمود مصري «ما لا يسع المحقق جهله» جاء ليسد فراغًا حقيقيًّا في المكتبة المختصة بحقل تحقيق النصوص بما تغيَّاه من خدمة مستعمل نوعي هو المتعلم والمتدرب، وبما تمتَّع به من خصائص وموائز ظهرت في التصميم والمعالجة والوضوح واستثمار الوسائل التعليمية، والتحرير والإخراج والملاحق.

ولعل المأمول من هذا الكتاب أن يسهم تشغيله الحضاري في تعزيز سياسات تعليم التحقيق والتدريب عليه في الأكاديميات والمؤسسات العلمية والمهنية المعنية بنشر التراث العربي. بالإضافة إلى دعم الارتقاء بمستوى المشتغلين في المجال وفي رفع المستوى الثقافي العام تجاه التراث العربي وإحيائه وإمداد المكتبة العربية بمثال يمكن احتذاؤه وتطويره في مجال التحقيق للأغراض البيداجوحية.

وإني على ثقة من أن نشر هذا العمل سيفتح آفاقًا جيدة في ميدان تعليم تحقيق النصوص والتدريب عليها، وسيسهم في تطوير التصنيف للأغراض البيداجوجية / التعليمية في هذا المجال المهم والخطير.

***

الفصل الثامن

بين يدي تحقيق كتاب النوادر

لمُعَلَّى بن منصور «ت ٢١١هـ»

بين يدي تحقيق كتاب النوادر
لمُعَلَّى بن منصور «ت ٢١١هـ»

٠ / مدخل: مثال غير أخير على هدير النور!

يمنحنا هذا الكتاب «نوادر مُعَلَّى بن منصور، المتوفَّى ٢١١هـ» مثالًا جديدًا ومتجسدًا لطبيعة عمل العقل المسلم نحو فقه الكتاب العزيز، وهو ما سميته بهدير النور.

والحقيقة إن تراث «النوادر» تراث عابر للحقول المعرفية في الحضارة العربية الإسلامية، تجد تطبيقات له في حقول الفقه، واللغة، وغيرهما.

وهو عند التأمل كاشف عن استقرار واضح للمنهجية المنضبطة في تاريخ البحث العلمي في هذه الحضارة، وهي المنهجية التي تفرق بصورة واضحة جِدًّا بين خطاب الأصول وما ورد فيها، وما تخرج على هَدْي قواعدها، وما خالف هذه الأصول، ولم يستجب للتخريج على قواعدها، وهو بعض المفهوم من إطلاق مصطلح النوادر في حقل الفقه الإسلامي.

١ / كتاب النوادر لمُعَلَّى بن منصور: مادته وانتماءاته المعرفية وقيمته الحضارية:

١ / ١ - مادة الكتاب:

تضمَّن هذا الكتاب نحوًا من ستين بابًا، وهو نموذج مبكر للترتيب الفقهي عند الحنفية الأوائل.

وقد بدأ الكتاب بباب الدعوى، وانتهى بباب العتاق والمكاتب والمدبر وأم الولد، والحقيقة أن فحص ترتيب أبواب الكتاب يكشف عن جملة من العلامات الحضارية المهمة التي تشير إلى توخِّي خدمة مقاصد شرعية بالغة الأهمية، لعل أظهر هذه المقاصد هي:

أولًا- خدمة مقصد تحقيق السلم المجتمعي والتعايش الآمن، بمحاصرة مادة النزاع، والصراع الاجتماعي، وتجفيف منابعه.

ثانيًا- خدمة مقصد تحقيق الحرية الإنسانية، وتوسيع مجالاتها وميادينها.

ثالثًا- خدمة مقصد التيسير على الخلق من أوسع الأبواب الشرعية، وخدمة تطبيقات التراحم الإنساني.

١/ ٢ الانتماءات المعرفية للكتاب:

يكشف فحص خطاب عنوان الكتاب ومؤلفه ومادته عن جملة من الانتماءات المعرفية بالغة الأهمية، وتكمن قيمتها في تهيئة السبيل أمام قرائه ومستعمليه؛ إذ تُعين على تشغيله الحضاري في الواقع العملي.

وهذه الانتماءات المعرفية هي:

أولًا- حقل دراسات الفقه الإسلامي على مذهب الأحناف.

وهو الانتماء المعرفي الأظهر الذي يشير الكتاب إليه بصورة واضحة، وبتحكيم قرائن العنوان، والنسبة التأليفية، والمرويات فيه.

ثانيًا- حقل دراسات أصول الفقه والاجتهاد.

إن هذا الكتاب بحكم انتمائه المعرفي إلى تراث النوادر في الفقه يعكس نتاج نمط خاص من الاستنباط، وإعمال القواعد الأصولية التي أدَّت إلى جملة من النتائج التي جاءت غير موافقة لما في أصول المذهب الحنفي في كتابات الأولى والتأسيسية.

ثالثًا- حقل دراسات علم اجتماع الدين.

إن كثيرًا من مسائل الكتاب الموزعة على أبوابه تشير بصورة واضحة جِدًّا إلى ما يمكن معه دراسة أحوال المجتمع الإسلامي الممتد، وطبيعة التغيرات الاجتماعية التي مرَّت به، وانعكست على الأحكام الفقهية التي تضمنتها كتب النوادر، وأدَّت إلى مخالفة ما ورد في أصول المذاهب.

رابعًا- حقل دراسات الاتصال العلمي.

يمنحنا هذا الكتاب مثلًا جيِّدا لنمط من أشكال الاتصال العلمي بين أجيال المشتغلين بعلم الفقه الإسلامي في دوائر المذهب الحنفي، وهو ما ينعكس من متابعة المرويات عن أبي يوسف، وتعليقات مُعَلَّى بن منصور في كثير من الأحيان.

وقضية الاتصال العلمي لها انعكاساتها المعرفية على تطور بنية العلم من جانب، وتطور أنساق التأليف من جانب آخر.

١/ ٣- قيمة الكتاب الحضارية:

يمثل هذا الكتاب قيمة حضارية واضحة يمكن تلمُّس العلامات التالية عليها:

أولًا- أولية نص الكتاب في تاريخ الفقه الإسلامي في المذهب الحنفي الذي أُلِّفَ في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

ثانيًا- منزلة المؤلف مُعَلَّى بن منصور المتوفَّى سنة ٢١١هـ، وهو تاريخ مبكر جِدًّا أتاح فرص اللقاء بمشيخة المذهب الحنفي الرواد الأصليين.

ثالثًا- النسق التأليفي الذي يُتيح الفرصة أمام تطور الترتيب في كتب المذهب الحنفي.

رابعًا- أولية تحقيقه؛ إذ لم يسبق أن تنبه إليه أحد من المشتغلين بالفقه الحنفي.

خامسًا- قراءة النسخة الخطية التي وصلت إلينا؛ إذ حقَّقه المحقق عن نسخة فريدة، وهو أمر صعب جِدًّا، ولكنه استنقاذ لنص من الضياع والفقد.

سادسًا- حماسة المحقق الذي ينتمي عمريًّا إلى جيل الشباب الذين تمكنهم الطاقة والقدرة على الدأب والجهد.

٢/ كتاب النوادر لمُعَلَّى بن منصور ٢١١هـ: خطاب التشغيل الحضاري:

لقد تكشَّف لنا من فحص الانتماءات المعرفية إمكان خدمة هذا الكتاب لعدد من الميادين العملية الحضارية، وهو ما نشير إليه فيما يمكننا توظيفه واستثماره من مجالات التشغيل الحضاري، وهذه المجالات الممكنة هي:

أولًا- تعزيز معجمات المصطلح الفقهي والأصولي المختصة، ولا سيما ما يختص منها بمصطلحية الفقه الحنفي.

ثانيًا- تعزيز بحوث الاتصال العلمي بين علماء الأجيال المعتاقبة في المذهب الواحد.

ثالثًا- تعزيز بحوث أنساق التأليف ولا سيما في الحقب الأولى من تاريخ التصنيف في الحضارة العربية الإسلامية.

رابعًا- تعزيز بحوث جمع المرويات في المسألة الواحدة، وتحقيبها على الأزمنة المتعاقبة.

خامسًا- تعزيز بحوث أثر التغير الاجتماعي والبيئي في تطوير بحوث الفقه الإسلامي.

سادسًا- تعزيز بحوث فحص تطور النظر الأصولي من خلال فحص تطور النظر العقلي، وأثره في الأحكام الفقهية.

سابعًا- تعزيز بحوث المنهجية وتطبيقاتها في ميادين الفقه والاجتماع.

٣/ كتاب النوادر لمُعَلَّى بن منصور: خطاب موائز العمل والمعالجة:

لقد نهض الأستاذ عبد الله العفري بعمل يستحق التقدير من عدة جوانب يمكننا الكشف عنها لمنح الفرصة لتقدير جهده المقدَّر في هذا العمل.

أولًا- إن اختيار هذا النص للعمل عليه يمثِّل مثالًا فريدًا لرعاية المعايير المقدرة في باب اختيار النص للتحقيق؛ ذلك أنه جاء موافقًا بصورة ممتازة للمعايير المعتبرة، وهي: فرادة النص، وأوليته، وقيمته في حقل اختصاصه المعرفي.

ثانيًا- إن التنبُّه لطبيعة النسخة الخطية وكونها فريدة -وما يمثله ذلك من صعوبات جَمَّة- يمثِّل حضورًا جيدًا للوعي لدى المحقق الذي يفرض حضور نوع من الاحتشاد لخدمة هذا النص؛ بسبب ظروف العمل عليه في ظل نسخة وحيدة.

ثالثًا- ظهور الوعي بطبيعة تحقيق النصوص التراثية التي تجمع بين خدمة معالجة النص -نسخًا وقراءة وتخريجًا وتعليقًا- وخدمته بالدراسة والتكشيف وصناعة الملاحق اللازمة.

رابعًا- ظهور آثار المعرفة الفقهية لدى المحقق، وهي المعرفة التي انعكست في تطبيقات التحقيق المتمثلة في:

أ- التخريج من المصادر الفقهية المعتبَرة.

ب- التعليق على الآراء من المصادر الفقهية المعتبرة.

٤/ تحقيق كتاب النوادر لمُعَلَّى بن منصور: ملاحظ للتحسين:

إن قراءة هذا التحقيق تفرض إسداء النُّصْح للمحقق؛ لمراجعة الموقف من عدد من الأمور، أُوجزها كما يلي:

أولًا- اختصار التمهيد ونقله لفقرة مطولة في أول التعريف بكتاب النوادر وموقعه من خريطة التصنيف الفقهي لدى الأحناف.

ثانيًا- إعادة بناء ترجمة مُعَلَّى بن منصور وفق العناصر العشرة التالية: «اسمه ولقبه وكنيته / مولده ووفاته / شيوخه / تلاميذه/ مصنفاته / مذهبه / آراء العلماء فيه مدعومة بالدليل».

ثالثًا- إعادة بناء الدراسة، لتعالج: «منهج الكتاب ومصادره»، وتُصَمَّم كما يلي:

أ-الانتماء المعرفي للكتاب، وأنه كتاب ضمن حقل الفقه الإسلامي بالدليل.

ب-منهج الكتاب:

- البنية الكبرى «الواجهة / والمتن».

- البنية الصغرى «بناء الباب، وترتيب مسائله».

ج- مصادر الكتاب:

- مجموعات المصادر وفق الحقول المعرفية.

كيفية التعامل مع المصادر.

وظائف المصادر.

رابعًا- إعادة النظر في عدد من معالجات التحقيق كما يلي:

أ- اختصار التعليقات جِدًّا.

ب- ضرورة التعليق الموضح للغوامض في الكتاب، ولا سيما ما يتعلق بالمصطلحات، ومن الأمثلة الكاشفة عن هذا الملحظ ما ورد في مسألة الإقالة في البيع، من نوادر الكتاب «تَقَايَلَا» وهو ما سكت المحقق عنه، والإقالة في البيع الرجوع عنها بالتراضي ابتداءً.

ج- ضرورة ضبط كل الأعلام في النص.

د- ضرورة استكمال «المداخل في كشافات الأعلام»؛ فقد سقطت منه أسماء أعلام من مثل: «مُعَلَّى بن منصور / وأبو يوسف» وغيرهما.

هـ- ضرورة إعادة النظر في ترتيب المسائل في ملحق ما ورد من نصوص المُعَلَّى في المصادر، ولم يرد في المخطوطة.

و- ضرورة صناعة كشاف للمصطلحات الفقهية والأصولية الواردة في النوادر.

إنني سعيد جِدًّا بعمل الابن العزيز الأستاذ/ عبد الله العفري في هذا التحقيق، وأدعو الله له بالتوفيق.

***

الفصل التاسع

الفيلولوجي بطلًا!

تجليات استثمار صورة الفيلولوجي في الرواية المعاصرة: حدودها وتقنياتها ووظائفها

الفيلولوجي بطلًا!

تجليات استثمار صورة الفيلولوجي في الرواية المعاصرة: حدودها وتقنياتها ووظائفها

٠ / مدخل: الفيلولوجي بطلًا... موجز حكاية الاستثمار:

«ما تحت ذلك من سطورٍ عَسِرُ القراءة إلى حدٍّ ما، ونهايات الأحرف ملتفَّة إلى أسفل ومتلاحقة، وكثير من قطرات الحبر متناثرة بين السطور... رُحت أحدِّق في هيئة الحروف والكلمات كثيرة التكرار؛ لأضبط بها في ذهني طريقة رسم للكلمات، فاستطعت بعد برهة... قراءة الخط المائلة حروفه من أسفل إلى جهة اليسار وملتحمة بما بعدها من الكلمات»، وهذا صوت الورَّاق الذي كان يمارس مهنة شريفة قديمًا [الوراق... أمالي العلاء... يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣م] «ص٣٢-٣٣».

وهذا الصوت يصلح مفتتحًا لفحص صورة الفيلولوجي في الرؤية المعاصرة.

يعرف الدكتور رمزي منير البعلبكي في [معجم المصطلحات اللغوية، د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٠م] «ص٣١١» مصطلحَ الفيلولوجي، مقرِّرًا أنه ذلك العالم الذي يدرس الكتابات القديمة، ويفك رموزها ويشرحها ويقارنها بنظائرها، ويدرس المخطوطات القديمة وله القدرة على تحقيقها.

والحقيقة أن هذا النمط من العلماء -لاعتبارات عديدة- تحوَّل إلى بطل في الرواية المعاصرة، ربما -ابتداءً- لما يحيط بصورته من السحر الذي يختزنه بسبب ارتباطه بالنقوش والمخطوطات والتراث القديم!

وترتبط تجليات استثمار صورة الفيلولوجي في الرواية المعاصرة بنمط أوسع نسبيًّا يمكن أن نسميه بالأكاديمي البطل أو صورة أستاذ الجامعة الذي يتحرك في قطاع من الأعمال الروائية بطلًا.

لكننا في هذه المقالة سنتوقف أمام صورة الفيلولوجي أو العالِم بالنصوص والنقوش والمخطوطات القديمة في الرواية المعاصرة.

١/ الفيلولوجي بطلًا: نحو وعي بالخريطة الروائية:

استثمرت الراوية المعاصرة -في الشرق والغرب على السواء- صورةَ الفيلولوجي، العالِم بالمخطوطات والنقوش القديمة وتحقيقها وتحليلها وتأثيلها، منذ مدة يمكن أن تُقَدَّرَ بنحو قرنين من الزمان. وسنقف هنا عند أربعة أعمال تمثِّل محاولةً لترسيم تُخُوم خريطة الرواية الحديثة والمعاصرة التي وظَّفت الفيلولوجي بصورة ما.

١/ ١- تخوم الخريطة:

- ١٩٣٨م/ رواية: فتاة القرن الذهبي، لقربان سعيد، [الترجمة العربية لمحمد عثمان خليفة، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٧م].

- ٢٠١٥م/ رواية: تعويذة العيفة، لتوفيق العلوي، [دار زينب، تونس، ٢٠١٦م].

- ٢٠١٦م/ رواية: بنات حواء الثلاثة، لأليف شافاق، [الترجمة العربية لمحمد درويش، مكتبة تنمية، القاهرة، ٢٠١٧م].

- ٢٠٢٣م/ رواية: الوراق... أمالي العلاء، د. يوسف زيدان، [دار الشروق، القاهرة، ٢٠٢٣م].

وقد ظهر في هذه الأعمال الأربعة اعتماد أحد أبطالها فيلولوجيًّا أو عالِمًا بالمخطوطات والنصوص القديمة مشتغلا بها.

كما ظهر توزُّع نوع شخصية البطل الفيلولوجي على نوعي الجنس الإنساني: الرجل والمرأة، ومن جانب آخر فإنه بالإمكان توسيع الدائرة لنقرر أن ثمة أعمالًا روائية أخرى وظفت «المعجم» بما هو عمل مرجعي بالغ الأهمية في مجال الفيلولوجيا في بنائها الفني.

ومن هذه الروايات التي ظهر منها «المعجم» فاعلًا في بنية الرواية المعاصرة ما يلي:

- ١٩٩٤م/ رواية: ثلاثية غرناطة، لرضوى عاشور [دار الشروق، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م].

- ٢٠١١م/ رواية الموريسكي، لحسن أوريد [دار الآفاق، الرباط، المغرب، ط٣، ٢٠١٤م].

- ٢٠١٦م/ رواية: راوي مراكش، لجويديب روبيا تاجاريا [ترجمة علي عبد الأمير صالح، مراجعة د. أحمد البكري، سلسلة إبداعات عالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١٥، أكتوبر ٢٠١٦م].

ويتَّضح من خطاب العنوان -بما هو عَتَبَة نَصِّيَّة كاشفة- دوران أحداث هذه الروايات في حقب تاريخية تنتمي إلى عالم التراث القديم.

١/ ٢- الفيلولوجيون الأبطال في هذه الأعمال: مدخل تعريفي:

إن تحليل شخصية الفيلولوجي البطل في هذه الراويات يمثِّل خطوة أساسية للكشف عن استثمار الرجل والمرأة على السواء في بناء هذا الجنس الأدبي الشائع الانتشار والتأثير في العصر الحديث، وهو ما يظهر فيما يلي:

١/ ١.٢- شخصية «زاد الأنباري» في رواية: فتاة من القرن الذهبي، لقربان سعيد «ت ١٩٤٢م».

«زاد» بطلة هذه الرواية فتاة شابة ناهد في مفتتح العشرينيات من عمرها، هربت مع والدها من تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية، لتبدأ حياة جديدة في برلين بألمانيا، وتتوجه إلى دراسة «فقه اللغة»، وفي الحوار التالي تكشف هذا الأمر، تقول الرواية «ص١٥» في مشهد انخراطها في حوار مع الطبيب الألماني «هسه» الذي سوف يصير زوجها فيما بعد وفق أحداث الرواية:

«فوق مقعد الفحص الخاص بالدكتور «هسه» جلست فتاة شقراء ذات عينين رماديتين غريبتين...

جلس الدكتور... ونظر إليها باهتمام...

- ما اسمك؟

- زاد الأنباري.

- مهنتك؟

- طالبة.

- أنت زميلة إذن في كلية الطب؟

- كلا! **فقه اللغة**.

- جاوبته في حِدَّة: كلا! بل دراسة التركية.

- أواه، وما ذلك؟

- «**الفيلولوجيا التركية المقارنة**».

وتقول «ص١٠»:

«وإلى الطاولة المجاورة تجلس دارسة **فقه اللغة**، نظراتها جافة غاربة ووجنتاها غائرتان، وهي تعمل بجد على ترجمة «الطارق» لحق حميد.

وتقول: «نهضت وهي تضع **المعجم** جانبا... تبعتها دارسة **فقه اللغة** ذات الوجنتين الغائرتين».

والحقيقة إن اختيار زاد الأنباري الفيلولوجية بطلةً للرواية يظهر من بدايات العمل الفني داعمًا للأحدث، وخادمًا لموضوعها المركزي.

١/ ٢.٢ شخصية «نازبيري نالبا توغلو» في بنات حواء الثلاثة، لأليف شافاق، «١٩٧١م»:

«نازبيري نالبا توغلو / أو بيري» بطلة هذه الرواية، كما سيعبر عنها على امتداد هذه الرواية، فتاة شابة ستنتقل من إسطنبول إلى أوكسفورد، وستضطر إلى دراسة اللغة، والتوسُّع فيها، فقد كان التحدي الكبير أمامها يتمثل في التعبير عن أفكارها على الورق، وبلغة غير لغتها الأم «ص٢٣٢»، وقد وصل الأمر إلى أن يلقِّبها بعض صديقاتها بفتاة المعجم، تقول الرواية «ص ٢٤٣»: «ردَّت شيرين «زميلتها» وهي ترنو إلى قصاصات الورق الصغيرة، الملصقة على الجدران: وليكن ما يكون، أنت فتاة **المعجم**».

١/ ٣.٢ شخصية «العيفة الهويمل» في رواية: تعويذة العيفة، لتوفيق علوي «تونس ٢٠١٦م»:

تظهر شخصية «العيفة الهويمل» أستاذة اللغة في الجامعة التونسية بطلة لهذه الرواية.

١/ ٤.٢ شخصية «سفير الوراق» الذي هو في الأساس: نصري بن قاسم بن عبد المجيد الجعفري الشريف في رواية: الوراق... أمالي العلاء، ليوسف زيدان، «٢٠٢٣م»:

إن هذه الشخصية تتجاوز حدود مهنة الناسخ الممتاز لتقترب من أن تكون شخصية الفيلولوجي العالِم بالنصوص القديمة الواعي بها، تقول الرواية

«ص٣١» على لسان العلاء ابن النفيس: «لقد لاحظت عند نظري في النسخ التي كتبتها أنك على جانب جودة خطك ودقة نقلك كنت **تضبط المفردات الطبية، والمصطلحات ضبطًا** تامًّا بالنقط والحركات».

أما رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، والموريسكي لحسن أوريد، فقد استثمرا عددًا من التقنيات الفنية والجمالية المُقْتَرَضَة من الفيلولوجيا؛ إذ يمكن إدراجها في إطار تجليات الفيلولوجي البطل في الرواية العربية المعاصرة.

٢/ الفيلولوجي بطلًا: نحو قراءة في استثمار الفيلولوجيا في بناء الرواية المعاصرة:

ثمة استثمار متفاوت الدرجات لصورة **الفيلولوجي** في الرواية المعاصرة، وقد تمدَّد هذا الاستثمار لصورة الفيلولوجي واتَّخَذَ مسارات متعددة، كان أبرزها ما يلي:

أولًا- التوظيف على مستوى معمار الرواية.

ثانيًا- التوظيف على مستوى جماليات الرواية.

ثالثًا- التوظيف على مستوى حجاجيات الرواية.

٢/ ١- لقد استثمر الروائيون المعاصرون حقائق الفيلولوجيا ومعلوماتها، ومسائلها، ومصطلحاتها، ما أسهم في صناعة الحبكة، وتعميق الشعور بالأحداث، لقد تَمَدَّدَتْ المعلومات الفيلولوجية في مفاصل الراوية، واشتبكت مع لغة الوصف والسرد، ومن أمثلة ذلك في رواية: بنات حواء الثلاثة «ص٣٩٨»:

«تنهد آزور وقال... **المعجم يمثل العلم** والمعرفة».

وأسهمت معلومات الفيلولوجيا في رسم الشخوص بصور جزئية، وفي تصاعد الأحداث وصناعة الحبكة والتأزم، ومن ذلك في رواية «فتاة القرن الذهبي» «ص٦»:

«كانت وفاة تومس الكبير في كوبنهاجن... وفاة **علم الفيلولوجيا**».

وثمة معلومات أخرى عن الباليوغرافيا أو علم دراسة الخطوط القديمة «ص٣٤»، ومعلومات التأثيل اللغوي etymology «ص٤١»، ومعلومات النقوش والمخطوطات «ص ١٢٩/ و١٧٩».

ومثل ذلك حدث في رواية «راوي مراكش» لجويديب روي باتاجاريا؛ فقد صنع المؤلف ملحقًا من تصميم رواية عرَّف فيه بالكلمات **المغربية** العامية، وهو ملحق مهم جِدًّا أسهم في خلق تقنية الإيهام؛ حتى يحمل القارئ على تصديق العمل والاقتناع به، ومن أمثلة ذلك «ص٩١»: «**الكسكس**: طبق... يُحضر بتبخير **الدقيق على المرق**، وغالبًا يُضاف اللحم والخضر والثمار»، و«ص٣٣٥»: «سياف البحر: أبو سيف، سمك أوقيانوس ضخم طويل المنقار».

٢/ ٢- وقد استثمر الروائيون كذلك المعلومات الفيلولوجية في البناء الداخلي للروايات في رسم الشخوص واختيار بعض معلومات الفيلولوجيا بوصفها عتبات نصية في عنوانات بعض الفصول وأسماء الأعلام والأماكن وأنواع اللغات، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

أ- في رواية ثلاثية غرناطة «ص٤٨٦»: «كانت الأوراق المحفوظة فيه صفراء طالها القدم... تنتهي الأوراق **المكتوبة بالعربية**... وشهادة تعميد مكتوبة **القشتالية**».

ب- وفي رواية الموريسكي «ص١٢»: «في خورنية البلد بلدة الحجر الأحمر كنا نصيخ السمع بانتباه لعظة **زاي** ميكو يوم الأحد وإن «فراي» في هذا النص كلمة **إسبانية** تفيد معنى الراهب، وتُجمع في **لغة المغاربة على الفرايلة**».

٣/ الفيلولوجي بطلًا: خطاب الوظائف:

يكشف فحص هذه الروايات بوصفها عينة مختارة عن حزمة من الوظائف التي نهض استثمار صورة الفيلولوجي بتحقيقها، وهذه الوظائف هي:

أولًا- الوظيفة الفنية الجمالية التي تصنع الإقناع واللذة الجمالية.

ثانيًا- الوظيفة النفسية؛ إذ تنهض صورة الفيلولوجي في أحيان بتغذية الانتماء للهوية والحنين للأوطان.

ثالثًا- الوظيفة الوطنية والقومية في تغذية الشعور الوطني وتعزيزه.

رابعًا- الوظيفة الحجاجية سعيًا للإقناع بالقضايا الفكرية التي تسعى هذه الروايات إلى دعمها.

لقد اجتهدت هذه المقالة في تحليل صورة الفيلولوجي في الرواية المعاصرة، وهو ما يعني أن الفيلولوجيا حية مؤثرة ولم تَمُتْ كما يمكن أن يتصوَّر قطاع من الناس.

***

الفصل العاشر

كشف اللثام عن دفع إيهام الاضطراب

عن آيات الكتاب للشنقيطي في طبعة جديدة

كشف اللثام عن دفع إيهام الاضطراب
عن آيات الكتاب للشنقيطي في طبعة جديدة

٠ / هدير النور والاستجابة الحضارية للعطف على المؤمنين:

تاريخ العناية بالكتاب العزيز بالغ العراقة من أي جهة تحصنها كيفيًّا وكميًّا، ذلك أنه كتاب الله الخاتم المنجز الهادي إلى طريق الحق، وبلوغ الجنان. ولعل واحدًا من ميادين خدمة الكتاب العزيز ماثل في التوجُّه إلى الدفاع عنه في وجه خصومه، والمشككين فيه من كل سبيل.

وقد عرف تراث الأمة في ميدان التفسير منجزًا جليلًا توَّجه لخدمة موضوع اللَّبْس في القرآن الكريم، والكشف عما يحيط بهذه القضية مما يعوق حركة الانفعال بالكتاب العزيز، ويعوق تشغيله الحضاري في الأمة.

وقد أنتجت هذه الاستجابة الحضارية -العاطفة على المؤمنين المتوجهة لتثبيت الإيمان في نفوس الأمة من طريق حصار الشبهات التي يفجرها بين الحين والآخر قطاعات متعددة من الناس- عددًا من التجليات العلمية تدور حول:

أولًا- تأويل مشكل الكتاب العزيز.

ثانيًا- الكشف عما يلتبس في الكتاب العزيز.

ثالثًا- دفع إيهام الاضطراب أو التناقض في القرآن الكريم.

رابعًا- دفع التوهُّم في الكتاب العزيز.

خامسًا- تفسير متشابه القرآن الكريم.

وقد تنوعت صور التأليف في هذا الميدان، واستمرت إلى يوم الناس هذا لغايات دينية، ومعرفية جليلة.

١/ كتاب كشف اللثام عن دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي: مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية:

١/ ١- مادة الكتاب:

كتاب «كشف اللثام» للشنقيطي «ت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م» كتاب غايته الكبرى دفع شبهة ظاهرية عنوانها تعارُض آيات الكتاب العزيز.

وقد رتَّبه صاحبه ترتيبًا مصحفيًّا، مفتتِحًا كتابه بكشف اللثام عن دفع إيهام الاضطراب عن آيات سورة البقرة، ثم سورة آل عمران، ثم سورة النساء، ثم سورة المائدة، ثم سورة الأنعام، ثم سورة الأعراف، ثم سورة الأنفال، ثم سورة براءة «= سورة التوبة»، ثم سورة يونس، ثم سورة هود، ثم سورة يوسف، ثم سورة الرعد، ثم سورة إبراهيم، ثم سورة الحجر، ثم سورة النحل، ثم سورة بني إسرائيل «= سورة الإسراء»، ثم سورة الكهف، ثم سورة مريم، ثم سورة طه، ثم سورة الأنبياء، ثم سورة الحج، ثم سورة قد أفلح المؤمنون «= سورة المؤمنون»، ثم سورة النور، ثم سورة الفرقان، ثم سورة الشعراء، ثم سورة النمل، ثم سورة القصص، ثم سورة العنكبوت، ثم سورة الروم، ثم سورة فاطر، ثم سورة يس، ثم سورة الصافات، ثم سورة ص، ثم سورة الزمر، ثم سورة غافر، ثم سورة فصلت، ثم سورة الشوري، ثم سورة الزخرف، ثم سورة الدخان، ثم سورة الجاثية، ثم سورة الأحقاف، ثم سورة القتال «= سورة محمد ﷺ»، ثم سورة الفتح، ثم سورة الحجرات، ثم سورة ق، ثم سورة الذاريات، ثم سورة الطور، ثم سورة النجم، ثم سورة القمر، ثم سورة الرحمن، ثم سورة الواقعة، ثم سورة الحديد، ثم سورة المجادلة، ثم سورة الحشر، ثم سورة الممتحنة، ثم سورة الصف، ثم

سورة الجمعة، ثم سورة المنافقون، ثم سورة التغابن، ثم سورة الطلاق، ثم سورة التحريم، ثم سورة الملك، ثم سورة القلم، ثم سورة الحاقة، ثم سورة سأل سائل «= سورة المعارج»، ثم سورة نوح، ثم سورة الجن، ثم سورة المزمل، ثم سورة المدثر، ثم سورة القيامة، ثم سورة الإنسان، ثم سورة، النبأ، ثم سورة النازعات، ثم سورة عبس، ثم سورة التكوير، ثم سورة الانفطار، ثم سورة التطفيف «= المطفِّفين»، ثم سورة الانشقاق، ثم سورة البروج، ثم سورة الطارق، ثم سورة الأعلى، ثم سورة الغاشية، ثم سورة الفجر، ثم سورة البلد، ثم سورة الشمس، ثم سورة الليل، ثم سورة الضحى، ثم سورة التين، ثم سورة العلق، ثم سورة القدر، ثم سورة الزلزلة، ثم سورة العاديات، ثم سورة القارعة، ثم سورة العصر، ثم سورة الماعون، ثم سورة الكافرون، ثم سورة الناس.

وكما يلحظ فإن متن الكتاب جَرَّدَ المواضع الموهم اضطرابها على ترتيب المصحف، في السور التي قيل إن فيها مواضع، وقد غطى الكتاب سور المصحف كلها تقريبًا، فيما عدا عددًا قليلًا مثل سورة الفاتحة، وسورة المرسلات، وسورة الشرح، وسورة البينة، وسورة التكاثر، وسورة الهمزة، وسورة الفيل، وسورة قريش، وسورة الكوثر، وسورة النصر، وسورة المسد، وسورة الإخلاص، وسورة الفلق.

١/ ٢-الانتماءات المعرفية للكتاب:

إن تحليل خطاب عنوان الكتاب ومقدمته بما فيها من بيان موضوعه، وخطاب الغايات المقصودة، وطبيعة المستعملين المتوقَّعين، وخطاب المادة العلمية في الكتاب، وطريقة معالجتها، يكشف عن حزمة من الانتماءات المعرفية التي ترجع أهميتها إلى تعزيز خطاب التشغيل الحضاري في الأمة، وفتح مسارات هذا التشغيل وميادينه والقطاعات المستفيدة منه.

وهذه الانتماءات المعرفية موجزة كما يلي:

أولًا- حقل أدب الدفاع عن الكتاب العزيز ضد منتقديه وخصومه؛ وتاريخ انتقاد خصوم القرآن الكريم له قديمة جِدًّا قِدَم التنزيل نفسه.

ثانيًا- حقل التفسير القرآني النوعي الذي يتوجه إلى معالجة قطاع بعَيْنِه من الآيات التي تدخل في نطاق التعارض الظاهري.

ثالثًا- حقل دراسات علوم القرآن من منحًى تطبيقي يخدم المتشابه القرآني، ويتعاطى مع بيانه وتوجيهه.

رابعًا- حقل الفيلولوجيا / أو فقه اللغة، وهو الأمر الذي تجلَّى بوضوح من خلال الإستراتيجية التحليلية المستندة إلى توظيف لغة الآيات بالأساس.

خامسًا- حقل دراسات الإعجاز القرآني المتنوعة، بفروعها المختلفة، وفي مقدمتها: الإعجاز البلاغي، والإعجاز الحِجَاجِي.

سادسًا- حقل دراسات المنطق القرآني.

١/ ٣- القيمة العلمية والحضارية للكتاب:

يتحرك هذا الكتاب حائزًا جملة من الأمور التي ترقى بقيمته العلمية والحضارية التي ترشح بحق لتشغيله حضاريًّا في مواجهة حزمة من المخاطر والتحديات التي تواجه تلقِّي القرآن الكريم في اللحظة الراهنة مع تمدُّد واضح لخطابات التشويه والتشكيك والهجوم عليه من قطاعات متعددة؛ علمانية وإلحادية وكتابية.

وتتساند الملامح التالية لتمنحه هذه القيمة العلمية والحضارية:

أولًا- التنوع في الانتماءات المعرفية التي تتجاذبه بقوة وبموضوعية حقيقية، تجعل من معالجاته لدفع إيهام التعارض جاذبًا لقطاعات مختلفة من المستعملين المعاصرين من ذوي المشارب والتوجهات والاهتمامات المختلفة.

ثانيًا- منزلة مؤلِّفه الباذخة في حقل دراسات علوم القرآن الكريم ودراسة التفسير.

ثالثًا- طبيعة الكتاب الاستيعابية التي نهضت على جرد عدد ضخم جِدًّا من الآيات الموهم تعارضها.

رابعًا- طبيعة المعالجة السَّلِسَة والمنطقية التي تعتمد على ترابُط الكتاب الكريم كله، والنظر إليه بوصفه لُحْمَةً واحدة بالغة التماسك والترابط.

خامسًا- تنوع المعلومات الموظفة في دفع إيهام التعارض، بدءًا باللغة بوصفها محور ماهية النظم العزيز.

سادسًا- نمط الخدمة التي نهض بها المعتني بالكتاب، ولا سيما عندما قرأه في ضوءٍ تمدَّد من طبعاته السابقة.

٢/ العناية بالكتاب:

توقَّف الشيخ: أشرف نصر «أبو أويس الكردي» في مقدمته كاشفًا عن ملامح عنايته بالكتاب، وقد توزعت خدمته له على المحاور التالية:

أولًا- قراءة النص قراءة صحيحة، نهضت على تصحيحه وتخليصه من التصحيفات والتحريفات، مع الحرص على ضبطه.

ثانيًا- مراجعة مروياته على مصادر المؤلف التي اعتمدها، وهذا الأصل الخادم قاد إلى تصحيح عدد من الأمور التي وردت في الكتاب مخالفة لما ورد في المصادر المعتمدة.

ثالثًا- تخريج نصوص الكتاب التي استشهد بها المؤلف «رحمه الله»، ولا سيما تلك النصوص التي تنتمي للحديث النبوي الشريف، والشعر العربي القديم، وقد حرص على الحكم على الأحاديث، وحرص -كذلك- على عَزْو الأشعار.

رابعًا- التعليق على مسائل الكتاب الخاصة بدفع إيهام الاضطراب، والإحالة على المراجع الداعمة والمعززة لهذا التعليق أو ذاك.

وهذه مسألة مهمة جِدًّا تنهض بجملة من الوظائف المقيِّدة لمستعملي هذا الكتاب، يأتي في مقدمتها: تحقيق قدر من الموثوقية في معلومات الكتاب من جانب، والمساعدة على تحقيق الوظيفة المعرفية لمن رام التوسُّع في هذا الميدان المهم.

ومع أنه قرر أنه قد اتَّبع خطة الإيجاز، فقد ورد في كثير من التعليقات نوع من النقل، قد كان بالإمكان الاستغناء عنه؛ ففي «ص٣٢» في التعليق على قوله تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٨]، نقل ما أورده الطبري في تفسيره، وهو الكلام نفسه، بتقديم وتأخير، وقد كان يكفي تخريجه بالإحالة على الصدر فقط!

٣/ ضد التيسير!

ثمة ملحوظات أترك للمعتني بالكتاب الشيخ أشرف نصر «أبي أويس الكردي» النظر فيها، والتَّثَاقُف حولها، وهي ملحوظات نتجت عندي من تحكيم مبدأ أصيل مستقر في خدمة العلم على هُدَى النسق الإسلامي القائم على التيسير على المستعملين بوصف التيسير أصلًا عامًّا في الشريعة ينسرب في ميادين الحياة كلها، بما فيها خدمة العلم والمشتغلين به، وهذه الملحوظات هي:

أولًا- عدم توحيد منهج تخريج الآيات الكريمة في المتن؛ ففي أحيانٍ يُخرج الشيخ الآية بذِكْرِ رقمها ورقم السورة الواردة فيها من دون ذكر اسم السورة، فقد ذكر -مثلًا- في تخريج قوله تعالى ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ قائلًا [٢/ ١٨]، من دون ذكر اسم السورة؛ وهي سورة البقرة، وهذه طريقة فلوجل المستشرق، والمستقر في التدقيق هو ذكر اسم السورة مع رقمها، ورقم الآية، وربما يكون الشيخ اكتفى بأن الآية واردة في معالجة آيات سورة البقرة؛ لأن الكتاب مرتَّب ترتيبًا مصحفيًّا، ولكن تحكيم معيار التيسير كان يقضي بما أقرره، ولا سيما أنه

التـزم التخريـج بحجـم طباعـي صغـير.

ومثـل ذلـك في تخريجـه لقولـه تعـالى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قائـلًا: [٤٦/ ٢٦] وهـي سـورة الأحقـاف، والآيـة يستشـهد بهـا معالجًـا آيـات دفـع إيهـام الاضطـراب في سـورة البقـرة!

ثانيًـا- عـدم اسـتيفاء عنـاصر المنهـج عنـد التخريـج مـن المعجـمات؛ فقـد اسـتقر في هـذا البـاب ذكـر عنـوان المعجـم، والمـادة اللغويـة أو الجـذر، والمـؤشر المـكاني، وفي الإحالـة عـلى المعجـمات لم يسـتوعب الشـيخ هـذه العنـاصر؛ ففـي «ص٣٣» قـال «الصحـاح «أذن»»، ولم يذكـر الجـزء ولا الصفحـة! وفي الصفحـة نفسـها قـال: «لسـان العـرب ١٣/ ٥٣٧» مـن غـير ذكـرٍ للجـذر أو المـادة اللغويـة!

ثالثًـا- مـن الأمـور المهمـة جِـدًّا في حقـل خدمـة الكتـب التراثيـة صناعـة دراسـة تكشـف عـن انتـماء الكتـاب المعـرفي؛ عونًـا عـلى تشـغيله الحضـاري، ودلالـة للمسـتعملين عـلى مسـارات الإفـادة منـه، ودراسـة منهجـه في الترتيـب وغايـات ذلـك التَّعَبُّدِيَّـة والتَّدَبُّرِيَّـة؛ لأن الترتيـب المصحفـي يهـدف إلى خدمـة المُرَتِّلِـين والمتدبريـن، ودراسـة غايـات التأليـف، وطبائـع المسـتعملين المتوقعـين، ودراسـة نوع المعلومـات الموظَّفـة لدفـع إيهـام الاضطـراب، والحقيقـة أن دراسـة النـص في ميـدان خدمـة الأعـمال التراثيـة باتـت جـزءًا مـن أركان الـدرس الفيلولوجـي بامتيـاز.

رابعًـا- ليـس ثمـة مسـوِّغ لتغيـير عنـوان الكتـاب الـذي ارتضـاه لـه مؤلفـه «رحمه الله»؛ ذلـك أن العنايـة بالكتـب التراثيـة وخدمتهـا مـع الحفـاظ عـلى نسـقها التأليفـي، أي مـن غـير التَّعَالُـق معهـا، أو توليـد كتـاب آخـر منهـا بالـشرح أو الاختصـار أو التقريـب أو إعـادة الترتيـب، لا يحمـل عـلى تغيـير عنـوان بحـال، وهـذا أمـر يخالـف أصـول العمـل في ميـدان خدمـة الكتـب التراثيـة.

إننـي أُحَيِّـي الشـيخ أشرف نـصر «أبـا أويـس الكـردي» عـلى مـا بذلـه في خدمـة هـذا العمـل، داعيًـا الله أن يتقبـل منـه، وأن يثيبـه خـيرًا.

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، د. خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

٢. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د. حسن الباشا، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٣. الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، د. سعيد مغاوري محمد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤. الألقاب والوظائف العثمانية، د. مصطفى بركات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥. الرتب والألفاظ المصرية... منذ عهد أمير المؤمنين عمر الفاروق، أحمد تيمور باشا، «ت ١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م» دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م.

٦. تكوين العقل العربي؛ د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٩م.

٧. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي «ت ٦٧٦هـ»، المطبعة المنيرية، القاهرة، بلا تاريخ.

٨. حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، لابن كنان، «ت ١١٥٣هـ»، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٩. حدود الأشياء الطبية، لأبي الفروج هندو «ت ٤٢٠هـ»، نسخة خطية بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، ورقمها No. ٩٩٩٩٩-٢٢١٨xt.

١٠. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للشيخ زكريا الأنصاري الشافعي المصري «ت ٩٢٦هـ» تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٤١١ه = ١٩٩١م.

١١. حلية الفقهاء، لابن فارس، «ت ٣٩٥هـ» تحقيق: د. عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري «ت٣٧١هـ» تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف، الكويت، ١٣٧٩هـ.

١٣. السياسة الشرعية: دراسة في أصول المصطلح وتطوراته التاريخية والفقهية، عبد الغني محمد علي مستو، تقديم: د. رضوان السيد، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٤. صناعة الفتوى وفقه الأقليات، عبد الله بن بيَّه، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ١٤٣٩هـ = ٢٠٠٨م.

١٥. صناعة الفتوى، محمد المصلح، ضمن: تحقيق مخطوطات الفقه وأصوله والفتاوى والنوازل، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠١٥م.

١٦. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

١٧. عدة محقق التراث المالكي في الفقه وأصوله والنوازل، لعبد الرحمن راشد الحقان، ضمن: تحقيق مخطوطات الفقه وأصوله والفتاوى والنوازل، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠١٥م.

١٨. فتاوى السبكي، تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

١٩. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

٢٠. قاموس مصطلحات الحديث النبوي، محمد صديق المنشاوي، تقديم: د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

٢١. قاموس مصطلحات الوقف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

٢٢. كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لابن نوح القمري «ت ٣٩٠هـ»، تحقيق: وفاء تقي الدين، مجمع اللغة العربية، دمشق، بلا تاريخ.

٢٣. كتاب الحدود والفروق، لابن هبة الله الطبيب و«العشاب» «ت ٤٩٥هـ»، نسخة خطية بمكتبة الإسكندرية برقم ٢٠١٧م فلسفة، تصنيف رقم ٧٣٣٣، وعنوانها في المخطوطة: حدود الطب والحدود الطبية.

٢٤. كتاب الحدود في الأصول، لابن فورك الشافعي «ت ٤٠٦هـ»، تحقيق: د. محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت وتونس، ١٩٩١م.

٢٥. لغة السياسة في الإسلام، برنارد لويس، ترجمة: د. إبراهيم شتا، دار قرطبة للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٦. اللفظ المستغرب عن شواهد المهذب، للقلعي، «ت ٦٣٠هـ»، تحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، جامعة الأزهر، ١٩٩٠م.

٢٧. لكل المقهورين أجنحة، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٩م.

٢٨. مرجع أكسفورد في الفقه الإسلامي وأصوله وتاريخه، تحرير أنور إيمان، وروومي أحمد، ترجمة: أسامة شفيع السيد وآخرين، مركز نهوض، الكويت، ٢٠٢٣م.

٢٩. المصادر العربية لمصطلحات الأشكال الأرضية، د. عبد الله يوسف الغنيم، ضمن بحوث ومطالعات في التراث الجغرافي العربي، الكويت، ط١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م.

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي «ت ٧٧٠هـ»، تحقيق د. عبد العظيم الشنتوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣١. مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة: الأيوبي والمملوكي والعثماني، د. إبراهيم الكيلاني؛ مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، وزارة الثقافة السورية، سنة ١٣، أكتوبر ١٩٩٢م.

٣٢. مصطلحات علم الري وعلم التربة، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٣. مصطلحات علوم القرآن، د. سليمان بن صالح القرعوي، جامعة الملك فيصل، السعودية، ١٤٢٣ه.

٣٤. مصطلحات علوم القرآن، تحرير د. عبد الحليم عويس، وأنور الباز، دار الوفاء، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣٥. مفاتيح العلوم، للخوارزمي «ت ٣٧٨هـ»، تحقيق: فان فلوتن، تقديم: د. محمد حسن عبد العزيز، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، رقم ١١٨، ٢٠٠٤م.

٣٦. مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي، تحقيق: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ = ٢٠١٧م.

٣٧. المعاجم الأصولية في العربية، د. خالد فهمي، دار المقاصد، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

٣٨. معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، أمين واصف بك، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٦م.

٣٩. معجم الجيولوجيا، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٤٠. معجم دمشق التاريخي، للدكتور قتيبة الشهابي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩.

٤١. معجم الأحجار والمعادن، مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

٤٢. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، د. محمد أحمد دهمان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٤٣. معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، د. زين العابدين شمس الدين نجم، طبعة خاصة بالمؤلف، القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٦م.

٤٤. معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٥م.

٤٥. معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ الإسلامي، د. فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٤٦. المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، د. حسان حلاق، ود. عباس صباغ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.

٤٧. معجم الدولة العثمانية، د. حسين مجيب المصري، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٨. معجم كوفيد-١٩، إيمان كامل نصر وآخرين، إشراف عبد الفتاح الحجمري، قسم المعاجم بمكتب تنسيق التعريب، الرباط، المملكة المغربية، مايو ٢٠٢٠م.

٤٩. المعجم الاقتصادي الإسلامي، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٥٠. معجم علوم الحديث النبوي، د. عبد الرحمن الخميس، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٥١. مصطلحات علمية في الأنواء الجوية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٥٢. معجم مصطلحات الحديث، سليمان الجرش، وحسين الجمل، تقديم: عبد القادر الأرناءوط، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٥٣. معجم مصطلحات الحديث النبوي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. محمد نايل، ود. شوقي ضيف، وغيرهما، القاهرة، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٥٤. معجم مصطلحات الأحاديث النبوية، عبد المنان الراسخ، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.

٥٥. معجم المصطلحات الحديثية، د. نور الدين عتر، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ١٣٦٩هـ = ١٩٧٦م.

٥٦. معجم المصطلحات الحديثية، د. محمود أحمد طحَّان، ود. عبد الرزاق خليفة الشايجي، ود. نهاد عبد الحليم، مجلة الشريعة، جامعة الكويت، ع٣٦، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٥٧. معجم المصطلحات الحديثية، عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٥٨. معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، د. سامي محمد الصلاحات، مكتبة الشروق الدولية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، نيويورك، ط١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٥٩. معجم مصطلحات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، د. يوسف عثمان الخزيم، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٧هـ.

٦٠. معجم مصطلحات علم المواد، د. نبيل عبد السلام هارون، برنامج تعريب العلوم الهندسية، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٦١. معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، دار القلم، دمشق، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٦٢. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمد عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٦٣. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، د. مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

٦٤. معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، د. أنور محمد زناتي، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١١م.

٦٥. معجم مصطلحات الحديث، د. محمد أبي الليث الخير آبادي، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٩م.

٦٦. معجم المصطلحات الحديثية، د. عبد الباسط مزيد، مكتبة الإيمان ومكتبة الجامعة الأزهرية، أسيوط، مصر، ٢٠١٠م.

٦٧. المعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث، أيمن السيد عبد الفتاح، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٦٨. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. سهيل صابان، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٦٩. المعجم الموسوعي لمصطلحات الوقف والعمل الخيري، د. عطية الونيس، القاهرة، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٨م.

٧٠. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، زمباور، ترجمة د. زكي حسن بك، د. حسن أحمد محمود، وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٧١. معيد النعم ومبيد النقم، للتاج السبكي، «ت ٧٧١هـ»، تحقيق: محمد علي النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

٧٢. موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥م.

٧٣. موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، د. لطفي المعوش، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م.

٧٤. موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي الإسلامي، د. رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.

٧٥. النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، لابن بطال الركبي «ت ٦٣٠هـ»، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٩م.

٧٦. نقد الطالب لزغل المناصب، لابن طولون الصالحي «ت ٩٠٣هـ»، تحقيق: محمد أحمد دهمان، وخالد محمد دهمان، ومراجعة: نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٧٧. فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم، للدكتور فيصل الحفيان، مركز أبو ظبي، دائرة الثقافة والسياحة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٣م.

٧٨. آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، د. خالد فهمي، الدار المغربية، ودار الكلمة، القاهرة، ٢٠٢١م.

٧٩. التذييل والتذنيب على نهاية الغريب، للسيوطي، تحقيق د. عبد الله الجبور، دار الرفاعي الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٨٠. تقذية ما يتقذى العين من هفوات الغَرِيبَيْن، للمديني، «ت ٥٨١هـ»، تحقيق د. أحمد رجب أبو سالم، علم لإحياء التراث والخدمات الرقمية، القاهرة، ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

٨١. الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، للسيوطي، مطبوع به من النهاية غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المطبعة الخيرية، بالقاهرة، ١٣٢٢هـ.

٨٢. صفة السرج واللجام، لابن دريد الأزدي، تحقيق د. مناف مهدي محمد، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٨٣. غريب الحديث، لابن الجوزي، «ت ٥٩٧هـ»، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٤. في الميزان الجديد، د. محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٨م.

٨٥. كشف الظنون، حاجي خليفة، مصورة دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٨٦. الكفاية في نظم النهاية، لابن بردس الحنبلي، «ت ٧٨٦هـ»، علم لإحياء التراث والخدمات الرقمية، القاهرة ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

٨٧. مجمع البحرين ومطلع النيرين، لفخر الدين الطريحي، مكتبة مرتضوي، طهران، إيران، ١٤٠٨هـ.

٨٨. معاجم غريب الحديث والأثر، د. السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٨٩. معاجم الغَرِيبَيْن في العربية ودراسة لغوية معجمية، للدكتور هيثم زينهم، تقديم د. خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠١٩م.

٩٠. معاني القراءات للأزهري، تحقيق د. عيد مصطفى درويش، وعوض حمد التوزي، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٣هـ = ١٩٩١م.

٩١. معجم المصطلحات الكنيسة، للراهب القس أثناسيوس المقاري، دار مجلة مرقس، القاهرة، ط٤، ٢٠٢١م.

٩٢. مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

٩٣. نحو منهج لتحقيق نصوص معجمات التراث العربي: بحث في نقد التحقيق والنقد المعجمي، د. هالة جمال عبد الفتاح علي القاضي، مجلة بحوث كلية الآداب / السنة «٣٤»، ع «١٣٢»، يناير ٢٠٢٣م.

٩٤. بنات حواء الثلاثة، «رواية»، أليف شافاق، ترجمة محمد درويش، مكتبة تنمية، القاهرة، ٢٠١٧م.

٩٥. تعويذة العيفة، «رواية»، توفيق العلوي، تونس، ٢٠١٦م.

٩٦. راوي مراكش، «رواية»، جويديب روي، ترجمة علي عبد الأمير صالح، تقديم: د. أحمد البكري، الكويت، ٢٠١٦م.

٩٧. فتاة القرن الذهبي «رواية»، قربان سعيد، ترجمة محمد عثمان خليفة، مدارات للنشر، القاهرة، ٢٠١٧م.

٩٨. الموريسكي «رواية»، حسن أوريد، ترجمة عبد الكريم الجوسقي، دار الآفاق، الرباط، المغرب، ٢٠١٤م.

٩٩. الوراق... أمالي العلاء «رواية»، د. يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٢٣م.

***

الفهرس

الإهداء ٧
المقدمة ٩
الفصل الأول: مقومات التواصل الحضاري في تراثنا المخطوط ١٣
الفصل الثاني: استدعاء النور! قراءة في التشغيل الحضاري لشمائل النبي ﷺ ١٩
الفصل الثالث: إمبراطورية المصطلح ونصوص الفتاوى! ٢٧
الفصل الرابع: فقه التحقيق من الصنعة إلى العلم ٦٣
الفصل الخامس: كتاب الغَرِيبَيْن لأبي عبيد الهروي «ت ٤٠١ هـ» ٩٧
الفصل السادس: قراءة في كتاب «فقة اللغة وسر العربية» ١٣٧
الفصل السابع: ما لا يسع المحقق جهله! ١٤٧
الفصل الثامن: بين يدي تحقيق كتاب: النوادر لمُعَلَّى بن منصور «ت ٢١١ هـ» ١٥٩
الفصل التاسع: الفيلولوجي بطلًا! ١٦٩
الفصل العاشر: كشف اللثام عن دفع إيهام الاضطراب ١٧٩
المصادر والمراجع ١٨٩